


# خافضة الزيت

ذوالقعدة ١٣٩٧ هـ - أكتوبر/نوفمبر ١٩٧٧ م







مناظره قادیان کے آب و ہوا کی خوبصورتی  
الہی ابرقہ ہا پر الفانی سہانہ و تعالیٰ  
راجہ تعالیٰ « اللہ ہمارے خدا ہے »  
تصویر: خلیل الرحمن



# قافلة الزيت

العدد الحادي عشر - المجلد الخامس والعشرون

تصدر شهرياً عن شركة أرامكو لموظفيها  
إدارة العلاقات العامة  
تتوزع مجانياً  
العنوان

صندوق البريد رقم ١٣٨٩  
الظهران - المملكة العربية السعودية

المدير العام: فيصل محمد البستطي

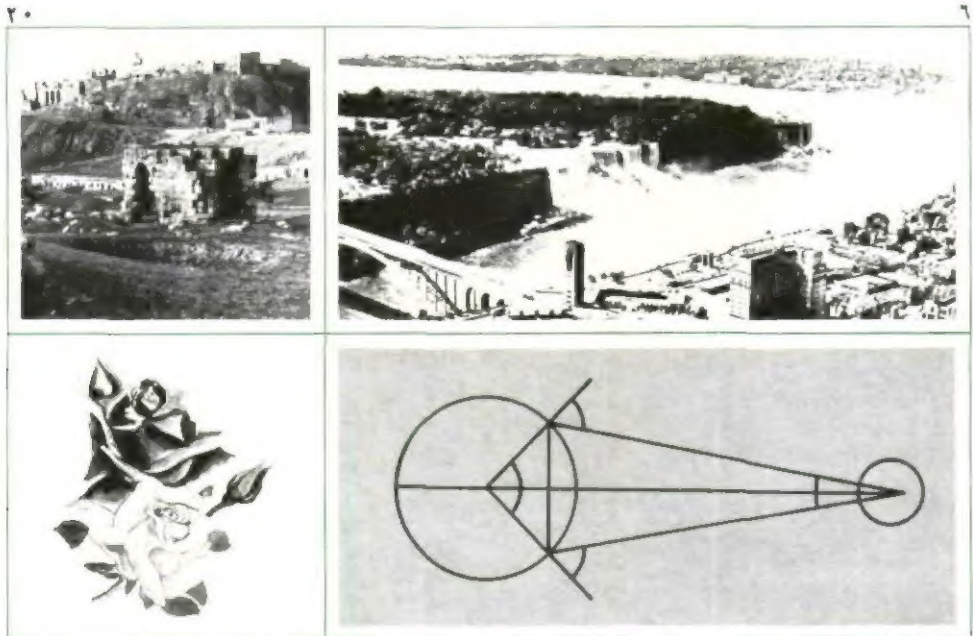
المدير المسؤول: عبد الله صالح جمعة

رئيس التحرير: عبد الله حسين العامري

المحرر المساعد: عوني أبو كشد

## محتويات العدد

٢	د. أحمد جمال العمري	المدارس النحوية
٥	فضل العمري	مناجاة (قصيدة)
٦	لراحل خليل الهنداوي	الأنهار ذوات الأسرار (من عجائب الكون)
١٤	د. محمد عبد الغني حن	المؤلفات العربية بين المقدمات وذكر المصادر
١٧	أبو طالب زهران	محمد الأسمر (شخصيات أدبية لها تاريخ)
٢٠	حسن كمال	مدينة ألاميا الأثرية
٣٢	عبد الفتاح أبو مدين	كان أبي معلماً (من حصاد الكتب)
٣٥		أخبار الكتب
٣٦	عبد الرزاق الهلالي	القصر اليتيم (قصيدة)
٣٧	د. علي عبد الله الدفاعة	دور الأرقام العربية في الحضارة الإسلامية
٤٥	أحمد محمد جمال	الشباب يعيش في عصر الأزمات
٤٧	يعقوب سلام	الغطور العربية عبر التاريخ



## التعليق على صورة الغلاف

لوحة ترمز للابتكارات العلمية التي  
أخبرها العلماء المسلمون في حقل  
الرياضيات .

راجع مقال «دور الأرقام العربية في  
الحضارة الإسلامية»

# المدرسة النحوية

بقلم: الدكتور أحمد جمال العمري

ومن الذي أنشأه .. ولماذا .. وكيف .. وبأي الأبواب بدأ .. فكل هذه أمور لا تنتهي الى نتيجة يقينية ، وقد تناولها كثير من القدماء والمحدثين (١١) . انما الذي نود أن نسجله هنا هو قيام المدرسة النحوية بشكلها الحقيقي المتكامل ، الواضح القسمات ، المحدد المنهج والخصائص .

ففيما يتصل بمدرسة البصرة ، يمكن يجمع الباحثون على أن أول من نسبت اليه آراء نحوية في كتب النحو هو « عبدالله بن أبي اسحق الحضرمي (١٢) » ، فهم يقولون انه كان أعلم أهل البصرة في وقته ، وكانت له آراء واجتهادات ، ووضع رسالة في الحمز ، تعد أول بحث في المسائل النحوية ، كما استطاع أن يستغل القياس بمهارة في أبحاثه ، أي أن الخطوة الأولى - وهي خطوة بدائية - كانت التأليف في مسألة من المسائل الصغيرة . ثم جاءت خطوة أكثر نضجا ، وأشمل تأليفا ، وهي جمع المسائل النحوية في كتاب ، وقد قيل أن عيسى بن عمر الثقفي كان أول من فعل ذلك ، حيث صنف كتابين في النحو . سمي أولهما « الجامع » أي الذي يجمع مسائل النحو ، وسمى الثاني « الاكمال » أو « المكمل » .

ثم جاءت الخطوة الأخيرة في مدرسة البصرة ، وهي اختراع أصول النحو على يد « الخليل بن أحمد » الذي استطاع أن يحدد عناصر هذا الاختراع ، وأن يستنبط أصوله ، ثم ترك الخليل تدوين وتسجيل هذا الاختراع بكل أصوله وفصوله ، الى تلميذه الأثير « سيبويه » حيث ظهر لنا النحو البصري مدونا في صورة نهائية وواضحة في كتابه .

والأستاذ الدكتور يوسف خليف (٧) ، حيث تناول دراسة علماء كل مدرسة على حدة ، وتعقبهم تاريخيا ثم تحدث عن التقاء المدرستين في بغداد .

وقد اقتنع بعض المستشرقين - كذلك - بفكرة المدارس الاقليمية ، التي حددها القدماء منهم بروكلمان حيث يقول : « .. وقد قسم علماء العربية مذاهب النحاة الى ثلاث مدارس ، البصريون ، والكوفيون ، ومن مزجوا المذهبين من علماء بغداد (٨) » ، كما رتب بروكلمان العلماء حسب أقاليمهم ، فترجم أولا لعلماء البصرة ، ثم لعلماء الكوفة ، ثم لعلماء بغداد . ويقول يوهان فك (٩) : « وكان لعلماء البصرة مذاهب معتمدة في القياس النحوي ، تختلف عن مذاهب الكوفيين » .

على أننا نجد بعض المستشرقين يتشككون في قيام مدرسة كوفية أصلا ، وسلم برأيهم بعض المحدثين ، فقالوا : « اننا لا نستطيع في الحقيقة أن نقول بوجود مذهب مكتمل لنحاة الكوفة ، وهو أمر سبق أن بينه قابيل (١٠) » .

هي نظرة القدماء والمحدثين الى المدارس النحوية ، ونحن لا يسعنا الا أن نسجل نتيجة لدراسنا في هذا المجال ، أن المدارس النحوية كانت حقيقة قائمة ، لا يمكن تجاهلها أو اغفالها . كان لكل مدرسة علماءها وتلاميذها ، ولكل مؤيديها . المقتنعون بمنهجها ، ولكل مصنفاتها وأبحاثها ، ظهرت المدرسة البصرية أولا ، ثم ظهرت المدرسة الكوفية بعدها ، ثم امتزجت المدرستان واختلط المذهبان والمنهجان في بغداد .

فإذا كانت المدارس النحوية حقيقة واقعة .. فمن الذي أنشأها .. ومتى .. وكيف بدأت ؟ ثم - ما هي الخصائص التي تميز كل مدرسة عن الأخرى ؟

قبل أن أجيب عن هذه التساؤلات .. أود ألا نخوض غمار البحث عن أولية النحو العربي ،

، في اعتقادي ، مذهب ، في خاص له سمات محددة ، قد تتفق أو تختلف مع سمات مذهب آخر ، هذا المذهب يرسمه ويحدده ويضع أصوله فرد معين ، وتكون له المقدرة على اقناع أفراد آخرين به ، فينتهجونه ، ويسيروا على نهجه . والمدرسة - في نظر بعض الباحثين (١) ليست الا استاذاً مؤثراً وتلاميذ ، وقد اجتمعوا على تحقيق غرض معين ، ونهجوا للوصول اليه منهجا موحدا .

وقد اعترف القدماء بقيام مدارس نحوية في مراكز العراق الثلاثة ، سميت كل منها باسم المركز الثقافي الذي نشأت فيه ، فكانت أولى المدارس وأسبقها « المدرسة البصرية » ثم أعقبتها بنحو قرن من الزمان « المدرسة الكوفية » . وأخيرا قامت « المدرسة البغدادية » .

فالزبيدي - في طبقاته - يقسم النحويين الى بصريين وكوفيين ، وان كان يتجاهل البغداديين ثم يضم اليهم المصريين والقرويين والأندلسيين (٢) .

وابن النديم يذكر البغداديين (٣) ، ويضعهم في أعقاب البصريين والكوفيين . وهناك من المترجمين والمؤرخين (٤) ، من ينص صراحة ، حين يترجم للعلماء والأدباء ، على أن هذا العالم بصري ، وذلك كوفي . وفي هذا التحديد دلالة أيضا على اعترافهم بوجود المدارس النحوية المختلفة ، وبأن كل مدرسة تغاير الأخرى .

وقد تابع الباحثون المحدثون - القدماء - واقتنعوا بصحة هذه التقسيمات الاقليمية التي وضعوها . واقتنعوا بالتالي بوجود مدارس نحوية قديمة متميزة ، من هؤلاء الأستاذ أحمد أمين حيث يقول (٥) : « ... وأيا ما كان الأمر ، فقد اختلفت مدرسة الكوفة عن مدرسة البصرة في مبادئ أساسية » ، والأستاذ الدكتور شوقي ضيف (٦) ، حيث تناول دراسة كل مدرسة على حدة ، ناهجا منهج الزبيدي في طبقاته .



## قضية هامة ... شغلت الأوساط العلمية في القديم والحديث

### ما معنى المدرسة النحوية؟ ... وما هو مفهومها في نظر العلماء والباحثين؟

الموضوع . وهكذا نلاحظ أن المدرسة البصرية تختلف عن المدرسة الكوفية في موقفها من النصوص التي وصلت إليها . فالبصريون لا يقبلون من هذه النصوص إلا ما أجمعت عليه لهجات العرب . أما الشواذ فانهم يهدرونها ، بل انهم يجرون أحيانا على تخطئة العرب ، اذا ورد عنهم ما يخالف القواعد التي وضعوها ، وهم على أساس هذه النصوص المجمع عليها يقيمون قواعدهم ، دون أن يكون للشواذ تأثير على قواعدهم العامة . أما الكوفيون فيقبلون كل ما وصل اليهم من العرب ، ويحترمونه ولو كان شاذاً ، ويبسحون القياس عليه . ولو خالف القواعد العامة التي وصلوا إليها ، بل يضعون لكل شاذ قاعدة يجوز القياس عليها . ومن هنا اختلفت المدرستان في المنهج اختلافاً أدى بهما الى اختلاف في النتيجة . فكان النحو البصري أكثر تنظيمًا ، وأدق قياساً من النحو الكوفي ، في حين كان النحو الكوفي أشد تمثيلاً للهجات العرب ، وأكثر احتراماً لكل ما ورد عنهم ، أي أن الكوفيين كانوا أسلس خطاً من البصريين وان هؤلاء كانوا أكثر تمحيصاً . وبعبارة أخرى ، يمكن أن نرى أن الكوفيين كانوا نقلة ، وأن البصريين كانوا نقدة .

فالأصل العام . الذي قام عليه المذهب الكوفي - هو احترام كل ما جاء عن العرب ، وجعله قاعدة يجوز القياس عليها . حتى لو كان شاذاً ، لا تنطبق عليه القواعد العامة (١٥) . فالكوفيون كانوا « اذا سمعوا لفظاً في شعر أو نادر كلام جعلوه باباً أو فصلاً (١٦) » . كما أنهم « لو سمعوا بيتاً واحداً فيه جواز شيء مخالف للأصول ، جعلوه أصلاً وبوبوا عليه (١٧) » . أما الأصل العام الذي قام عليه المذهب البصري - فهو اهدار الشواذ ، فاذا ثبت صحتها ، قالوا : انها تحفظ ولا يقاس عليها (١٨) .

**يقول** السيوطي (١٩) : « اتفقوا على أن البصريين كانوا لا يلتفتون الى كل مسموع ، ولا يقيسون على الشاذ » . ومعنى هذا - أن البصريين كانوا أكثر حرية ، وأقوى عقلاً . وأن طريقتهم أكثر تنظيمًا وأقوى سلطاناً على اللغة ، وان الكوفيين أقل حرية ، وأشد احتراماً لما ورد عن العرب ولو موضوعاً . فالبصريون يريدون أن ينشئوا لغة يسودها النظام والمنطق .. والكوفيون يريدون أن يضعوا قواعد للموجود حتى الشاذ ، من غير أن يهتموا شيئاً من

الى أن الرواسي ، لم يخلف لنا كتباً أو رسائل في النحو ، يستحق بها أن يكون مؤسساً لهذه المدرسة النحوية .

ولسنا الآن بصدد تفنيد الآراء لتأييد هذا أو ذاك . بيد أننا نستطيع أن نقرر - أن الرواسي هو واضع علم النحو الكوفي ، ومؤسس مدرستها في القرن الثاني ، حيث كان معاصراً للخليل ، في وقت كانت تموج فيه مراكز العراق المتعددة . بمختلف أنواع الثقافات والعلوم . ومهما يكن من أمر ، وسواء أبدأت المدرسة الكوفية بالرواسي ، أم بدأت بالكسائي ، فإن الذي لا جدال فيه - أن المدرسة الكوفية كانت حقيقة تاريخية وعلمية ، وكان لها علماءها ومؤيدوها . كما كان لها منهجها الذي خالفت فيه منهج المدرسة البصرية .

فاذا كان الأمر كذلك . فما الفرق بين منهجي المدرستين الكوفية والبصرية ؟ وما هو الأصل العام الذي اختلفت فيه مدرسة الكوفة عن مدرسة البصرة ؟

- ان أهم سمة توضح الفرق بين منهجي المدرستين الكوفية والبصرية ، انما ترجع الى الأصل العام الذي قام عليه بحث النحو عند كل من المدرستين .

- (١) الدكتور مهدي المخزومي - مدرسة الكوفة ص ١٢٩ (طبع دار المعرفة ببغداد) . (٢) طبقات الزبيدي ص ٢٣٣ ، ص ٢٤٥ ، ص ٢٧٥ . (٣) الفهرست ص ٣٩ وما بعدها . (٤) مثل ابن الانباري وابن خلكان والسيوطي وياقوت وغيرهم . (٥) ضحى الاسلام ٢/٢٩٤ . (٦) المدارس النحوية ، طبع دار المعارف بمصر عام ١٩٦٨ م . (٧) حياة الشعر في الكوفة ص ٢٤٢ . (٨) تاريخ الأدب العربي ٢/١٢٤ . (٩) العربية ص ٦١ ترجمة المرحوم الدكتور عبد الحليم النجار . طبع دار الكتاب العربي بالقاهرة سنة ١٩٥١ . (١٠) وهم مصنفو دائرة المعارف الإسلامية ٦/٢٠٠ طبعة سنة ١٩٣٥ . وقيل هو مؤلف المقدمة المشهورة على كتاب « الانصاف في مسائل الخلاف » وقد ترجمها المرحوم الدكتور عبد الحليم النجار ، ولكنها لا تزال مخطوطة . (١١) أنظر ما كتبه الزبيدي في طبقاته ، وما كتبه السيرافي في أخبار النحويين ، وما كتبه السيوطي عن العلماء في النوع الرابع والأربعين من مؤلفه . ومن الدراسات الحديثة ، نشأة النحو للشيخ محمد طنطاوي ص ٩ وما بعدها ، والمدارس النحوية للدكتور شوقي ضيف ص ١٧ وما بعدها . (١٢) من هؤلاء الدكتور يوسف خليف في كتابه « حياة الشعر في الكوفة » ص ٢٦٣ ، والأستاذ ابراهيم مصطفى في محاضراته في أصول النحو . (١٣) من هؤلاء السيوطي في البنية ص ٣٤ ، والزبيدي في طبقاته ، والأستاذ أحمد أمين في « ضحى الاسلام » ٢/٢٩٤ ، والأستاذ الدكتور شوقي ضيف في « حياة الشعر في الكوفة » ص ٢٤٨ . (١٤) مهدي المخزومي « مدرسة الكوفة » ص ٤٠٧ طبع ببغداد . (١٥) ضحى الاسلام ٢/٢٩٥ . (١٦) السيوطي : معجم اللغات ص ٤٥١ طبع القاهرة سنة ١٣٢٧ هـ . (١٧) السيوطي « الاقتراح » ص ١٠٠ ، طبع حيدر آباد سنة ١٣١٠ هـ . (١٨) ضحى الاسلام ٢/٢٩٦ . (١٩) الاقتراح ص ١٠٠ .



وخلاصة الموقف أن الكوفيين كانوا أكثر جرأة في موقفهم ، وأكثر حرية في منهجهم ، في حين كان البصريون متقيدين متحفظين ، وأن منهج البصريين بما فيه من ميل شديد الى « التقيد » كان أقرب الى طريقة التعليم ، ومنهج المعلمين المقتنين ، في حين أن منهج الكوفيين بكونه أقرب وأوقع الى فهم طبيعة اللغة ، كان بذلك مذهب العلماء المحافظين . ولحق فان هذا المنهج الذي اتبعه الكوفيون ، كان موجودا في البصرة ذاتها مع وجود المنهج الثاني (٢٠) . وكانت هاتان النزعتان في البصرة في أيامها الأولى ، فهم يقولون أن ابن أبي اسحق الحضرمي ، وتلميذه عيسى بن عمر ، كانا أشد ميلا للقياس ، وكانا لا يأبهان بالشواذ ، وكانا لا يتحرجان من تخطئة العرب . وكان أبو عمرو ابن العلاء وتلميذه يونس بن حبيب البصريان أيضا على عكسهما ، يعظمان قول العرب ويتحرجان من تخطئتهم ، فغلبت النزعة الأولى على من أتى بعد من البصريين . وغلبت النزعة الثانية على من أتى بعد من الكوفيين (٢١) .

ومع ذلك فليس يعني وجود المدارس المتميزة . أن يكون بين كل مدرسة وأخرى حدود وفواصل مانعة ، بل هناك قدر مشترك بين الجميع ، وهذا الاشتراك لا يتنافى مع التمييز والتشخيص . عن الأسباب التي أثرت في مذهب الكوفيين النحوي ، وحددت منهجهم ، وميزته عن مذهب البصريين ومنهجهم ، فيبرها الدكتور يوسف خليف بقوله (٢٢) :

« ان الاستقرار العربية كانت مسيطرة على هذا المجتمع فترة طويلة ، وان الحياة القبلية والعصبيات القبلية كانت مقوما أساسيا من مقوماته ، وهذا - بطبيعة الحال - يجعل علماء الكوفة أشد حرصا على التراث الأدبي واللغوي لهذه القبائل ، وأكثر احتراما لكل ما يروى عنها ، وأشد إيمانا ، بأن كل ما نطق به العرب صحيح وصالح لأن يستعمله الناس ، وبقيسوا عليه ، ولا يصح أبدا أن بعد ما نطق به به العرب شاذ لا يقاس عليه ، كما لا يصح أن نخضعه لقواعدنا ، فما اتفق معها قبلناه ، وما استعصى عليها رفضناه أو عددناه شاذاً ، وهذا كله أثر من آثار سيطرة الروح العربي الاستقرار على المجتمع الكوفي . أما البصرة ،

فقد كانت أخلاطا من الأجانب فلا بد أن تكون القواعد التي توضع لهم ليتعلموا على أساسها العربية ، قواعد دقيقة لا تشعب فيها ، ولا تعدد ولا استطالة ، حتى لا يضلوا بينها ، ولا يستعصى عليهم حصرها . فاذا أضفنا الى هذا أن الثقافات الأجنبية ، وبخاصة الثقافة الفلسفية كانت من الأسس التي قامت عليها حياة البصرة العقلية ، استطعنا أن ندرك السر في اتجاه البصريين الى اخضاع ما وصل اليهم عن العرب لمقاييس العقل والمنطق والبحث الفلسفي .

أما ثالث المدارس النحوية - التي قامت في البيئة العراقية ، فهي المدرسة البغدادية ، نسبة الى بغداد ، التي ظهرت حوالي منتصف القرن الثاني الهجري ، وقد قبل انها مدينة ملك وليست بمدينة علم ، وما فيها من العلم منقول اليها ، مجلوب للخلفاء وأتباعهم (٢٣) ، ولكنها استطاعت بحكم أنها حاضرة الدولة ، ومدينة الخلفاء والأمراء ، أن تجتذب العلماء والشعراء ، وأن تفرض وجودها على مدينتي البصرة والكوفة .

وقد اختلف في حقيقة هذه المدرسة . فمن الباحثين من يرى انها امتداد للمدرستين السابقتين وامتزاج للمذهبين . ومنهم من يرى أنها مدرسة قائمة بذاتها استطاعت أن تكون لنفسها منهجا وآراء . ومن الباحثين من ينكر وجودها كلية ... فبعض الباحثين يرون أن المذهب البغدادى ليس الا مذهباً انتخابياً وسطاً ، يشمل الخصائص المنهجية للمدرستين البصرية والكوفية جميعاً (٢٤) . يقول الأستاذ أحمد أمين :

« وكان التقاء الكوفيين والبصريين في بغداد سببا في عرض مذاهب المدرستين ، واتجاهاتهما ثم نقدها والانتخاب منها » . ويقول الأستاذ محمد طنطاوي (٢٥) : « انه بالثام عقد الفريقين في بغداد ، نشأ المذهب البغدادى الذي عماده الترجيح بين الفريقين » . وزعم الدكتور أحمد مكي الانصاري - أن المدرسة البغدادية انما نشأت عن امتزاج المدرستين تدريجيا حتى استوى أمرها ، وان الفراء هو المؤسس الحقيقي لها (٢٦) .

آخر يرى أنه تخرج برجال الكوفة وبعض جماعة من البغدادية ، وألغوا بالتوسع في الروايات والتباهي في الترخيصات ، والتفاخر بالنوادير والطرائف حتى ابتعدوا عن أصول أشتياخهم ، واستوى لديهم مذهب

انحاز عن مذهب أسلافهم عرف بمذهب البغداديين (٢٧) .

وبعض ثالث - ينكر كلية وجود هذه المدرسة ، ويقول : « ان ما ذهب اليه بعض الباحثين من أن هناك مدرسة نحوية باسم مدرسة بغداد ، متميزة عن المدرستين البصرية والكوفية ، لا يتفق مع ما كان يراه الأقدمون والأولون من أصحاب التراجم والطبقات ، ثم هو لا يتفق كذلك مع نصوص العلماء الأقدمين ، فابن النديم لا يسمي من خلطوا بين المذهبين بغداديين ، والزبيدي يذكر في كتابه النحاة واللغويين من البصريين والكوفيين والمصريين والقرويين والأندلسيين ولا يزيد » ويستطرد بعد ذلك قائلا : اذن فلم يكن هناك فيما أرى مدرسة بغدادية قائمة بنفسها لها تعاليمها (٢٨) . ويؤيده في هذا الرأي الدكتور فاضل السامرائي فيقول (٢٩) : والذي أراه في هذا الشأن انه لا يصح اطلاق اسم « مذهب » أو « مدرسة » الا أن تكون هناك أسس مستقلة ، وآراء متميزة واضحة محددة ، والا فهو اما مذهب بصري ، أو مذهب كوفي ، وأرى أن المكان وحده لا يصح أن يسم المدرسة باسم ما ، فتعد مدرسة نحوية مستقلة . وعلى هذا فأنا أرى أنه لا يثبت وجود مدرسة بغدادية ، الا اذا ثبت انها مدرسة مستقلة ، ذات أسس مستقلة ، وكيان خاص ، وآراء مستقلة ، وان نحاتها يتصفون بهذه الصفات أيضا . وذلك لم يثبت عندي فيما بين يدي من المصادر .

بعض ما قيل حول المدرسة البغدادية ، وأيا ما كان الأمر ، فان المدرسة البغدادية انما كانت حقيقة واقعة ، ظهرت نتيجة للتأثر والتأثير ، وبفعل التفاعل العلمي بين أنحائها وعلمائها بعد أن فرضت وجودها ، واجتذبت العلماء من كل مكان ، وفي كل فن ، وجمعت بينهم في القصور والدواوين ، فكان أن نشأت المدرسة البغدادية التي قامت على أساس الجمع والتوفيق والمزج بين آراء المدرستين ، بالاضافة الى الاجتهادات التي استنبطها العلماء نتيجة للحاجة العلمية والثقافية .

د. أحمد جمال العمري  
الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة

- (٢٠) طبقات فحول الشعراء ص/١٥ . (٢١) ضحى الاسلام ٢/٢٩٦ . (٢٢) حياة الشعر في الكوفة ٢٦٨ . (٢٣) المزهري ٢/٢٦٠ . (٢٤) الأستاذ أحمد أمين : ضحى الاسلام ٢/٢٩٨ ، والدكتور يوسف خليف : حياة الشعر في الكوفة ٢٤١ ، والدكتور مهدي المخزومي : مدرسة الكوفة ص/٧٠ . (٢٥) نشأة النحو ص/٢٦ . (٢٦) أبو زكريا الفراء ص/٣٦٣ . (٢٧) الدكتور طه الراوي : نظرات في اللغة ص/٩ طبع بيروت . (٢٨) الدكتور اسماعيل شلبي أبو علي الفارسي ٥٤٥ طبع نهضة مصر . (٢٩) ابن جني النحوي ص/٢٥١ ، طبع بغداد سنة ١٩٦٢ م .



# مناجاة

للشاعر: فضل العماري

وسجدتُ في محرابِ حبِّك شاكراً  
وجوارحي تهفو اليك لتغفراً  
يدعو فؤادي أن يميلَ ويسهراً  
نورٌ من الإيمان بات ميطراً  
طفلٌ يحدقُ في أبيه مفكراً  
وبدتُ للروح اللبيم مطهراً  
أبداً سيطوي مرها لن يظهر  
فلستُ حبِّك في الجوانح متشراً  
فبدالك تجعلُ كلَّ ليل مزهراً  
وتركتُ أمري في الفاهة مبحراً  
وجعلتُ رأسي في التراب معقراً  
ففضيتُ ألهو راقصاً ومصفراً  
أو ما رأيت الروض يصبح مغفراً  
فاذا به مثل الشباب مصوراً  
فرداً تفوق تارةً وتدبّراً  
هل صار لي الرزقُ الحلالُ ميسراً  
ويفرّ غني اذ أقيم على الذرا  
عاهدتُ نفسي أن أعودَ من السرى

فضل العماري - الدمام

رباه جئتُك تائباً مستغفراً  
كفائي ترعشان من عوفِ الآسى  
يسري بروحي ما أظنّ خياله  
كالخلم لا ، كالسحر لا ، بل انه  
ترنو عيوني للماء كأنّها  
أنت الذي خضع الأنام لحكمه  
قلبي يراك حقيقةً أزليةً  
وبحثُ في كلِّ الجوانبِ نائها  
أيقنتُ أنك عالمٌ بربرني  
ان كنتُ جاوزتُ الحدودَ بغفلتي  
ان كنتُ أعلنتُ الخطيئة سادراً  
وظننتُ أن العمرَ لحظةٌ شارب  
فأنا الضعيفُ يرى الحياةَ مجانةً  
أو ما علمت الكونَ اذ هو ذرة  
أنيتُ نفسي كيف صرتُ بتطفئة  
هل عشت عمري كالفراشة حالماً  
من قال أن الموتَ يهجرُ مضجعي  
يا ربما تعفو وتصفح اني



# من عجائب الكون

أحد النواعير التي تدور بقوة دفع مياه نهر  
العاصي في سوريا .



## الأنهار

## زوايا



## بقلم: الأستاذ الراحل خليل الهنّاوي

يمتاز جبالا عاليا ، بواسطة أقيّة ممدودة تحت الأرض ، تسوقه الى الصحراء لإروائها . ومن هذه الأنهار الشهيرة :

### نهر الأمازون

يعد أعظم أنهار الأرض ، اذ يبلغ عرض مجراه المحيط بجزر متناثرة فيه ٢٠ كيلومترا . وعلى مسافة ٥٠٠ كيلومتر من مجراه الأسفل يشكل هذا النهر شبه ذراع ممدودة في البحر يتراوح عرضها بين ٤ أو ٥ كيلومترات ، ويبلغ متوسط مائه الدافق منه ألف متر مكعب في الثانية الواحدة ، مما يزيد أكثر من خمسة أضعاف على دقات نهر « المسيسيبي » وخمسة وأربعين ضعفا على ما يسكب نهر « الراين » . واندفاع هذا النهر تجاه المد البحري يعطي مشهدا جميلا رائعا . ففي المياه المنخفضة ، يتقدم المد حول ٦٠٠ كيلومتر من مجرى النهر ، وفي المياه المرتفعة لا يتجاوز المد عمق المجرى . أما سلسلة الأنهار الروافد التي تنحدر فيه ، فلا تزال مجهولة ، على الرغم من أن التصوير الجوي أمكنه تعيينها على الخارطة .

مياه الأنهار التي تنساب أحيانا بهدوء ، تعكس جمال السماء ونجومها الصغيرة المتألقة على صفحتها الصافية ، وأحيانا تندفع صاخبة مزبدة ، في مساقط صخرية ، وتراية ، تعد من أروع ما يتحلى به هذا الكون العجيب .

ان حياة نهر ما ، من رأس ينبوعه حتى حدود مصبه ، تمثل كفاحا متواصلا ضد العوائق التي تصده ، والعقبات التي تعترض مسراه .. وتعاقب هذا الكفاح بصورة دائمة يمثل جملة من الجمالات الطبيعية ، سواء في ذلك الكهوف والشلالات ، وأفواه الينابيع .

ان الأنهار الجبارة قد تسوق الى الأرض التي تنساب فيها ، عوامل الخصب والازدهار ، أو عوامل الخراب والدمار .

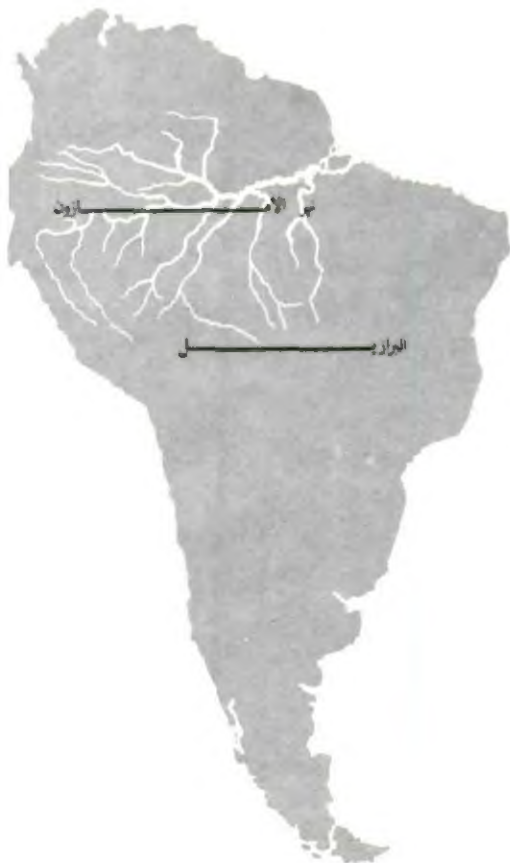
والانسان يميل الى السكنى على ضفاف الأنهار ، وشطآن البحيرات التي تقدم له الغذاء من أسماكها ، والمساء الخصب لأراضيه التي يزرعها . كما ان الأنهار تشق له طرقا مائية ، ومسارب آمنة ، تسمح له بشحن الأتقال والأحمال على سطحها .

وهناك عدة حضارات أصيلة نشأت على ضفاف الأنهار ، فعلى نهر النيل نشأت الحضارة المصرية ، وعلى نهر الفرات قامت حضارة شعوب هذا الوادي ، وعلى ضفاف نهر « يانج تسي » برزت الحضارة الصينية . كذلك ، نرى أجمل مدن العالم تقوم ، وترتفع ، وتتسع على ضفاف الأنهار .

واستفادة الانسان من الأنهار ، ولدت آثارا فنية رائعة ، كالجسور والمعابر والسدود التي تدود عن القرى والمدن شر الفيضانات العارمة ، والأقيّة التي توزع المياه في أنابيب دافقة للسقي والري .

وفي عصرنا الحديث ، نشاهد انشاء مشاريع في البناء ، تفوق روعة ما قدمه الأقدمون في بناء الأهرام والجنائن المعلقة ، من أجل الاستفادة الكاملة والمتواصلة من أمواه الأنهار .

وسياتي يوم نرى فيه الأنهار العصبية ، تنحدر من بحيرة الى بحيرة ، ومن مسقط الى مسقط ، ضمن سلسلة من السدود تنظم مجراها ، توفر الماء للمزارعين ، وتولد الطاقة الكهربائية ، بفضل الشلالات الصناعية . حيث لا تبدل مجاريها ، كما هو الأمر في « استراليا » اذ نرى النهر ، بدلا من أن ينصب في البحر ،



الأنهار



**نهر الأمازون** الذي هو أوسع أنهار العالم مدى ، اذ يشغل مساحة سبعة ملايين كيلومتر مربع ، يمر ، خلال انسيابه ، بغابات عذراء لا يمكن التسلل اليها ، ويعرج على ذخيرة بيولوجية ضخمة لم تكتشف ، وصحراء مكتظة بالنبات . انه ينبع من جبال « الأند » على ارتفاع شاهق ، وينحدر من علو أربعة آلاف متر ، حتى يتفصل عن منابعه بمقدار ٩٠٠ كيلومتر . انه لنهر عظيم ، دافق ، يتلقى عددا لا يحصى من الروافد التي تمده ، ويبلغ ما يقطعه في هذه الرحلة الطويلة الشاقة « ٥٨٠٠ » كيلومتر . كما ان تدفقه منتظم ، بحكم انسجام الأمواه العالية التي تنصب عليه من الروافد أثناء جريه العادي .



وفي سنة ١٩٢٧ زادت كمية الأمطار ، وارتفع منسوبها فوق المستوى الاعتيادي ، خلال أشهر الشتاء مما زاد في تدفق الماء ، حتى ارتفع النهر بمقدار ١٨ مترا ، وعجزت السدود عن كبح جماحه ، فشمّل الفيضان مدى ٧٥ ألف كيلومتر مربع . وفي سبيل حماية الأرض من كوارثه أنشأ سكان ضفافه خطا منيعا مضاعفا في الأرض ، على طول ثلاثة آلاف كيلومتر . وما يعجز عنه الخط الأول ، يقوم به الخط الثاني . وبذلك قلت التضحية بالأرض . والنهر ، في مجراه المنخفض ، يواصل رحلته حتى البيئة الحارة ، ويروي ما فيها من نبات غني . وعند مصبه ، في خليج المكسيك ، يولّد دلتا رحيبة يبلغ طولها ٥٠٠ كيلومتر .

وراء السدود تقع العين على مشاهد رائعة لبحيرات ، وشواطئ غير مستقرة ، مأهولة بضفادع ضخمة ، وأفاع مائية ، وغدران ومناقع ذات رائحة آسنة .

## نهر يانغ تسي

هناك ، على مجرى متعرج ذي ٥٢٠٠ كيلومتر طولا ، نجد نهر « يانغ تسي » أو النهر الأزرق ، ينقل الى المحيط الهادئ ماء « سقف العالم » . انه ينبع من علو ٤٦٠٠ متر في منطقة تكتنفها البحيرات ، ثم يبدأ ينحدر انحدارا عجيبا خلال أخاديد عميقة ، وأودية سحيقة ، ويعرض أحيانا بمقدار ١٥٠ مترا .. انه يمر بسلسلة جبال منقطعة ، وسفوح مترامية ، ليس فيها الا تجويف عميق يسيل

الرحبية ، من ربة جليدية تتخللها البحيرات ، ثم يبدأ انحداره ، حتى يشكل شلالا يبلغ ارتفاعه عشرين مترا ، بالقرب من مدينة « ميتا يوليس » .

وينعتون هذا النهر بالحكيم ، لأنه ينتشر في أغنى بلاد العالم صناعة ، وأوسعها زراعة وسط حقول الحنطة والقطن ، ولكن الانسان ، حتى الآن لم يستطع تذليل هذا النهر ، على متابعة انحداره في مجراه ، بصورة منتظمة . وعلى امتداد مجراه ، مرتفعات ومنخفضات ، تهوي فيها المياه بأصوات مخيفة تشبه هزيم الرعد . وهو في بعض المواضع ، يرتفع مجراه بفضل رواسبه المدخنة ، ثم يغطي المرتفعات التي كوّنّها ، منحدرًا نحو البرية ، ليجث عن مرقد جديد .

والانسان - في العصر الحاضر - بدلا من أن يذلل هذا النهر ، عمد الى تركه وشأنه في ثوراته ، وهيجانه ، بغير انتظام .

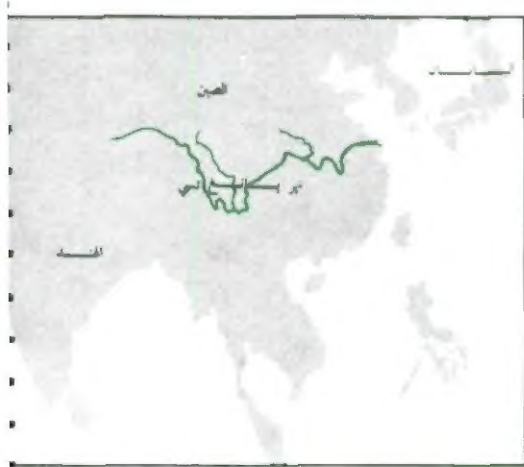
ان الأتخان في تقطيع أشجار الغابات ، وتمهيد الطرق الزراعية التي أنهكت الأرض ، قد تركا في وسط أمريكا صحراء جرداء تجرف المياه من أرضها ما تشاء . ومنذ سنين عدة ، ما زالت الأمطار التي تنهمر بغزارة تغمر الأرض وتجعلها غير سالكة . ثم تتعاقب عليها دفعات شديدة من المطر ، بحيث أن أمواج كل جوف من كل نهر ، تنصب في عباب النهر الكبير .

وله جوفان لا يلبث أن يتحدا في جوف واحد . وفي كل حال ، نجد هذا النهر الوحشي لا يألم مما تألم منه الأنهار المألوفة ، اذ أن شواطئه ليست بجرداء من النبات . وهو ، مذ يبدأ من مجراه ، تحيط به الغابات التي تمسك المياه . وتكاد تحبسها . ثم تمتصها . وفي واديه الذي يبلغ في بعض مراحلها ٤٥ كيلومترا عرضا . تنشأ بحيرات ومستنقعات قديمة مهجورة ، مما ركذ فيها من مياه الفيضان ، لأن الناس لم يستطيعوا حبسها بسدود . كذلك نرى مجراه العالي يتقدم بسرعة ٥ كيلومترات في الساعة . وبهذا يكلفه عبور هذا المجرى ، حتى منخفض النهر ، مدة شهرين يقطع فيهما مسافة ألف كيلومتر .

## نهر المسيسيبي

وبقابل نهر الأمازون ، نهر آخر يجري في أمريكا الشمالية . هو نهر « المسيسيبي » الذي يعد من أطول الشرايين المائية في العالم . يبلغ طوله ٦٨٠٠ كيلومتر . وأكبر روافده نهر « المسوري » ذو المياه الوحلة العكرة . وحين يلتقي هذا النهران التوأمان الخصمان ، نرى المسيسيبي يحضنه ويجرفه لأنه أكثر تدفقا وانتظاما .

والمسيبي يقذف ، عند مدخل الدلتا ، بعشرين ألف متر مكعب في الثانية . وهو ينبع غير بعيد عن البحيرات الأمريكية الشمالية







جانب من نهر الحاصي في سوريا وقد أقيمت على ضفتيه الكثير من الأبنية ومرافق الحياة .



فيه ، حتى يبلغ أوفر مناطق الصين غنى . ثم يطرّد في مجراه حتى يخط له سبلا آخر يدفعه الى السهول الرحيبة ، مشكلا حوله عوائق صخرية خطيرة ومزالق عميقة . يعسر عليه أحيانا تخطيها بسهولة .

ومعركة الحياة ، في هذه السهول ، قائمة على قدم وساق ، وليس هنالك من سؤال حول القدرة على اجتياز هذه المزالق بالسفن مهما بلغت لأنها تتحطم في تيار الماء المندفع بقوة .

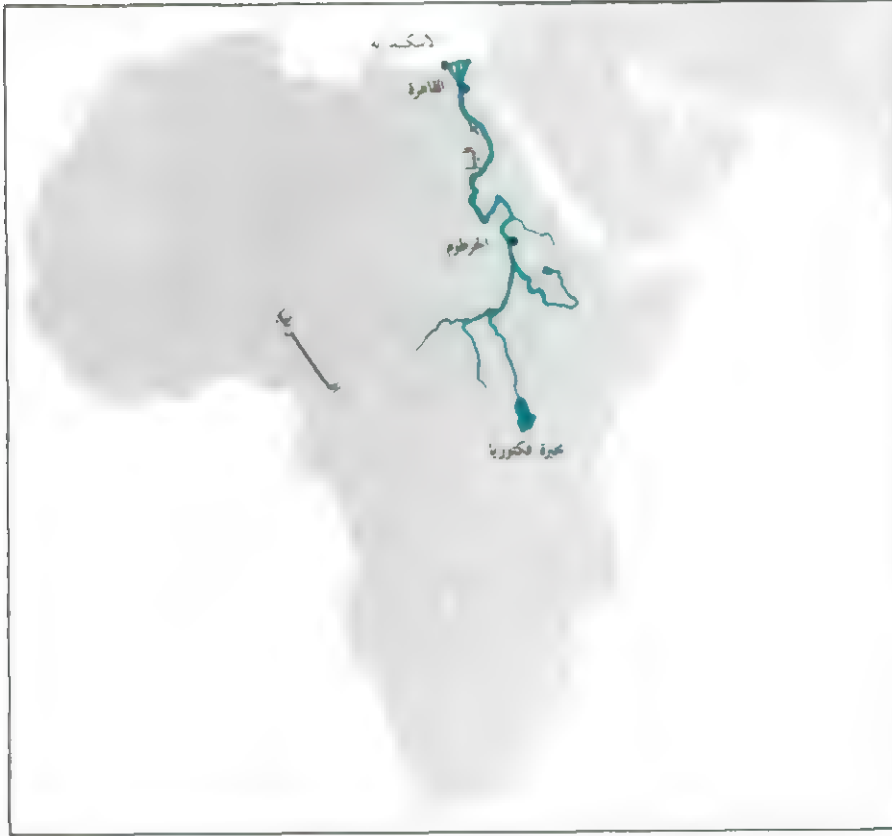
وهو ، عند مجراه المنخفض ، ينشيء خير طريق للولوج في بلد ليس فيه طرق . والخطوط الحديدية فيه نادرة ...

انه موطن حياة كثيفة بالسكان . وفي هذا المجرى يمحّر عدد كبير من السفن فوق عبابه ، وتقوم مجتمعات من القرى والمزارع على ضفتيه ، بين جذوع الأشجار الكثيفة ، تتألق فيها الحياة والحركة الدائمة . كما ان هنالك مدنا تجارية ضخمة أقيمت على شاطئيه . وهذا النهر الكبير كسائر المشاهد الرائعة التي ترى في الصين - قد أظم المصورين والرسمين لوحات غريبة الأشكال والألوان . توحى الى ناظرها بأنها كأنها من بنات مخيلتهم . لكنهم لم يؤثفوا هذه الصور العجيبة . شبه الخيالية التي طالما أذهلت الزوار النادرين الذين عبروا النهر الأزرق . تأليفا خياليا . وانما استمدوها من الواقع الغريب الذي هو أشبه بالخيال .

## نهر النيل

وهو النهر الجبار الذي يقطع أفريقيا من الجنوب الى الشمال مجتازا مساحات لا تحصى ومولفا عوامل عجيبة لا يمكن تصورها . والنيل أكثر الأنهار طولا ، وليس أغزر الأنهار ماء . وفي هذا سر حياته وحياة ما يبلله من بقاع ، وهو يجوب صحارى وفلوات ، ولا ينال روافد ولا غيثا في شطر كبير من مجراه . وهو على ما يبده من أدق قواه . في فثائه على ذلك الوجه ، تبصره مهولا في مصبه . وعلى ما يدل عليه طوله من سدس محيط الأرض تراه أبسط الأنهار شكلا . فهو يجري من الجنوب الى الشمال توا ، محدثا عطفة واحدة فقط . وهو لم ينحرف غير ٤٠٠ كيلومتر من طوله البالغ ٦٦٤٠ كيلومترا .

ويشتمل حوض النيل على أعظم بحيرة ، في نصف الكرة الأرضية الشرقي وعلى أعلى جبال قارته ، وأكبر مدنها . ويعمر ضفاف النيل أكثر طيور النصف الشمالي من الكرة الأرضية .



حدوة حصان ، وهو يملك ٩٥ في المائة من النهر ، والشرط الأمريكي الذي هو أقل منه شأنا ، وأبهر مشهدا . وبعد هذا السقوط تنفض المياه الصاخبة على واد رحيب سعة ١١ كيلومترا ، حتى تبلغ ضفاف بحيرة «أونتاريو» . وحين تلمس المياه قدم الشلال ، تتوزع منها تيارات جامحة .

وبحسب التسلسل الزمني المعروف ، بالنسبة الى الأرملة الجيولوجية ، نرى ظاهرة التغير ، في هذه الشلالات ، كانت سريعة جدا ، ومنذ خمسة وعشرين ألف سنة ، كانت «النياغارا» على شاطئ بحيرة «أونتاريو» ثم انزاحت ١٠٠ كيلومتر عن مجراها الأصلي السابق . وهناك بعض المساقط الأخرى ، في مواضع أخرى ، تستطيع بسهولة أن تنافس «نياغارا» سواء بقوتها ، أو بجماها . ففي «أفريقيا» نجد شلالات بحيرة «فيكتوريا» التي تنفض على عرض ١٦٠٠ متر من ارتفاع أكثر من ١٠٠ متر في واد عميق ، يبلغ عمق الماء فيه ١٤٠ مترا . وبذلك ترفع - بصورة دائمة - عمودا من البخار ، يحيل الشمس الى ألوان قرح ، وهو ما سماه السكان الأصليون «دخان الرعد» . ومن عجائب المياه الكهوف التي تكونها الأمطار ، وأمواه الأنهار التي تتسلل في حنايا

ولكن أعجب ما في تلك الظواهر التي تتجلى فيها جمال الطبيعة ، وعمل المخلوقات ، وجهود الناس ، والزراعة والنبات . والحيوان والأمم وتاريخها « هو انها ما كانت لتوجد لولا النهر » .

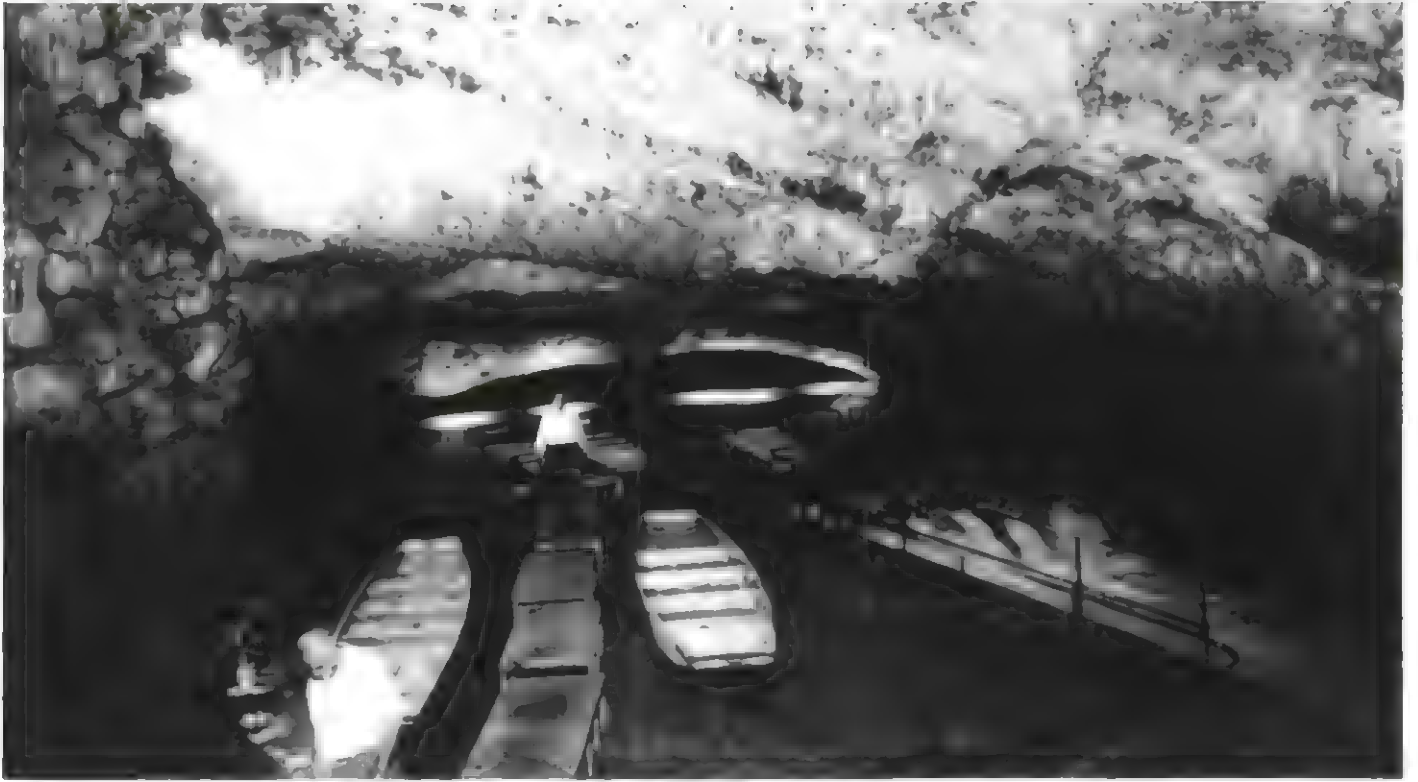
ولنهر النيل مجموعتان من المنابع : بحيرات الهضبة الاستوائية «فيكتوريا» وألبرت ، وادوارد ، ومياه هضبة الحبشة ، وتلتقي مياه المنبعين عند الخرطوم ، يحمل الأولى النيل الأبيض ، والأخرى النيل الأزرق . وهو يفيض في أواخر فصل الصيف بسبب سقوط الأمطار الموسمية ، على هضاب الحبشة ، وقد يكون هذا الفيض عارما ، فاستغلوه بسدود أقاموها عليه ، لتخزين مياهه . وأهمها خزانات «أسوان» و«السد العالي» .

## شلالات المياه الكبرى

وتعد شلالات «نياغارا» في أمريكا الشمالية ، دون شك من أروع المشاهد الطبيعية وأجدرها بالتصوير .

«ونياغارا» اسم هندي يعني «رعد السماء» . وتبلغ مساحة دفقاتها عشرة آلاف متر مكعب ، وهي بعرض ٨٢٠٠ متر تثب وثبة واحدة من ارتفاع خمسين مترا ، فيحدث وثوبها صوتا رهيبا يصم الأذان . ومسقط الماء فيها تفصله جزيرة الى شطرين : الشطر الكندي ، الذي يشكل





مفارة جيمينا في لبنان من مساقط الماء التي تنحت في الصخور على مر العصور .



شلالات « نياغارا » وهي تعتبر من أكبر شلالات الماء في العالم .



احدهما فوق الأخرى ، والمتنزه في مساربها المضاعة بالكهرباء ، ينطلق الى داخلها على زورق يطوف في الماء ، وهو لا يشعر الا بأنه داخل كهف عجيب يتألق بالمرمر المائي الضارب الى الصفرة ، كأن ما تنائر عليه شموع أو ثريات . ومن الكهوف القديمة كهوف « هان سورليس » في بلجيكا ، اكتشفها لأول مرة سنة ١٨١٤ أربعة فتية شجعان ، كانت عدتهم المشاعل ، وقد استخدموا في رحلتهم تحت الأرض طريقة « المخلوق الابتدائي » الذي كان

هذه المشاهد المتحجرة تلك القبة العملاقة التي تكوّنت منذ ستين مليون سنة . على أن مجموع هذه الكهوف المتناثرة التي استحال الى متاحف طبيعية ، لم يتم إحصاء عددها حتى اليوم . وفي كل مساء تخرج منها ملايين الخفافيش لتحلق في الجو مدة ساعتين ، أو ثلاث ساعات ، حين تخرج للبحث عن أقواتها وغذائها . ويجدر بنا في هذا المقام أن نذكر مغارة « جعيتا » في لبنان ، التي تغمرها بحيرتان ،

الأرض ، وتعمل على توسيع أحاديدها ، مفتته الصخور . وقليلًا قليلًا ، يتكوّن مجرى أرضي لهذا ، الأمطار ، لا تقع عليه العيون . وكم من أنهار اختفت من الوجود ، وغارت في أحشاء الأرض ، وكهوفها ، ومساربها . ولعل أرحب هذه الكهوف ، ما نراه في أرض المكسيك الجديدة ، فإن نهرا خطّ لمجره سلسلة من الأحاديد الواسعة ، مرصعة بما تحجر من الماء ، على كثر العصور ، مكسوة في بعض المواضع بالمرمر ، والذرات البلورية . ومن أروع





## الينابيع

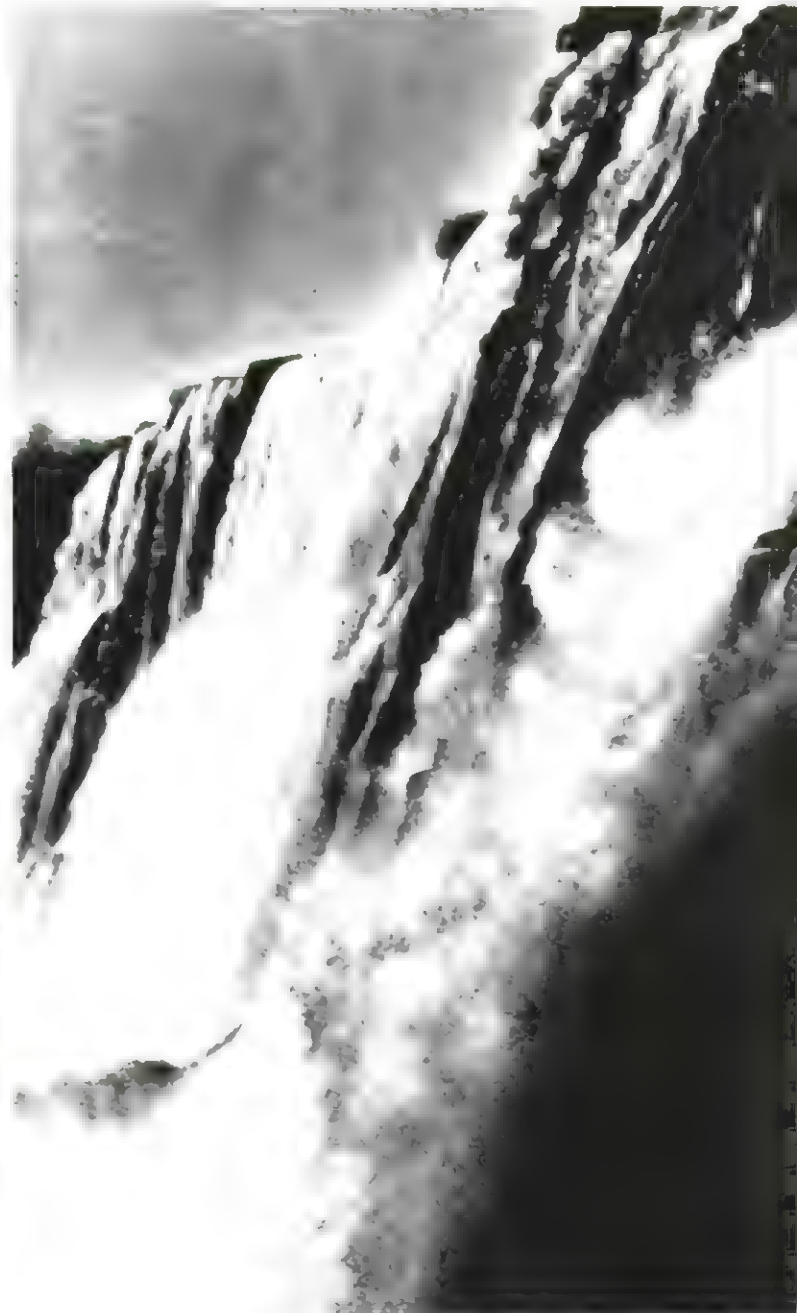
العجيب ، وما كان الانسان ليهتدي الى هذا لولا  
أن هداه الله .

- ١ - منظر لاجد التشكيلات الرائعة التي تتكون منها مغارة جعيت العليا .
- ٢ - شلالات « مورشيزون » وتقع على ذراع من أذرع نهر النيل الجاري من بحيرة فكتوريا .
- ٣ - شلالات فكتوريا على نهر « زامبي » في روديسيا ، وهي تمثل مشهدا رائعا لأضخم نهر يبلغ عرضه ١٦٠٠ متر .
- ٤ - جانب من نهر « الفنج » المقدس الذي يخترق مدينة « القدس » الطبيعية .

ثم تفنن الانسان البستاني والمهندس في اصطناع النوافير الصناعية ، التي لاحظوها في الطبيعة ، وألفوها تبعا لأهوائهم ، ليزينوا بها عالم حداثتهم . ولعل من اشهر هذه النوافير نافورة قصر « فرساي » التي تشكل مشهدا رائعا في صعودها وهبوطها . وفي الليل ، تداعبها انوار كهربائية مختلفة الألوان ، فاذا هي زهرة مجنحة ولكنها من ماء . تلك هي آيات الله في الطبيعة وفي هذا الكون

يترك وراءه آثارا من الدقيق ، لنحفظ له طريق العودة . ويبلغ طول هذه الكهوف ٣٠ كيلومترا ، وأجمل ما فيها تلك القبة التي يبلغ طولها ١٥٠ مترا وعرضها ١٤٠ مترا وارتفاعها ٢٠٠ متر . وفي قواراة أحد كهوفها بحيرة صغيرة .

وأعجب من ذلك مغارة في « زيلاندة الجديدة » تعتمد في الاضاءة على تنوير طبيعي بما تشبه جدرانها المرصعة بملايين الذرات البلورية التي تعكس نورا بهيجا .





# المؤلفان العربيه نبيل

بقلم: الأستاذ محمد عبد الغني حسن

الحنبلي في مقدمته للذيل على كتاب « طبقات الحنابلة » لابن أبي يعلى . فقد بلغت مقدمة ابن رجب المتوفى سنة ٥٧٩٥ خمسة أسطر لا تريد ، على حين أطال ابن أبي يعلى في مقدمة كتابه عن طبقات الحنابلة . وكذلك فعل الامام الحافظ المؤرخ ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ في مقدمة كتابه المشهور « الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة » فانها لا تريد على صفحة من حجم كتابه المطبوع في حيدر آباد الدكن سنة ١٣٤٨ هـ . وقد اكتفى فيها بذكر مصادره التي نقل عنها ، وأخذ منها كما سنذكر بعد . ويميل بعض المؤلفين القدامى الى الاسهاب في مقدماتهم ، والافاضة فيها وعلى رأسهم ابن قتيبة ، فقد صنع لكتابه « أدب الكاتب » مقدمة طويلة بلغت عشرين صفحة من حجم كتابه المطبوع بالقاهرة بتحقيق المرحوم الشيخ محمد يحيى الدين عبد الحميد . وهي مقدمة طريفة مفيدة ، فيها توجيهات للأدب الشادي وكيف يستكمل عدته ، ويحكم أدوات كتابته . أما مقدمته لكتابه « عيون الأخبار » فقد جرت أيضا على منهجه في الاطالة والاسهاب ، وقد علل فيها للجمع في كتابه بين خيرى الدنيا والآخرة ، فيه ورع وزهد ودين ، وفيه فكاهات ومضاحك ومزاح يفيد الطباع المكدودة بالجد ، ويكسبها راحة ، وشبه كتابه بمائدة تختلف فيها مذاقات الطعوم لاختلاف شهوات الآكلين ، وصرح في المقدمة بافصاحه أحيانا بذكر العورات ، وأن ذلك ليس بمأثم ، (وانما المأثم في شتم الأعراض ، وقول الزور ، والكذب ،

كالذي صنعه في كتابه « الشعر والشعراء » و« أدب الكاتب » ، و« عيون الأخبار » الذي طالت مقدمته حتى بلغت بضع عشرة صفحة .

وما دما قد ذكرنا هنا طائفة من المؤلفات القديمة التي أصدرها أصحابها بلا مقدمات ، فان طائفة من الكتب الحديثة والمعاصرة قد نهج مؤلفوها هذا المنهج فلم يكتبوا لها مقدمات ، ولم يفتحوها بتوطئة تدل على التمهيد لها ، كالذي صنعه المرحوم عباس محمود العقاد في كتابه « عبقرية خالد » وكالذي صنعه المرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق في كتابه « الامام الشافعي » والدكتور الجراحي محمد كامل حسين في كتابه « متنوعات » والمرحوم الدكتور محمد يوسف موسى في كتابه عن ابن رشد الفيلسوف . وتختلف المقدمات الموضوعة للمصنفات العربية كما وكيفا . فقد تطول المقدمة لكتاب معين حتى تبلغ في ذاتها كتابا آخر قائما بنفسه ، كالذي فعله مؤرخنا العبقري عبد الرحمن بن خلدون ، في تقديمه لكتابه المطول في التاريخ المسمى باسم « العبر ، ودیوان المبتدأ والخبر » فقد أطال ابن خلدون النفس في مقدمة كتابه ، حتى صارت « المقدمة » كتابا مستقلا اشتهر بين العلماء والباحثين ، شرقيين وغربيين باسم مقدمة ابن خلدون .

وعلى حين نجد مقدمة لكتاب في التاريخ بلغت هذا الحد من الفخامة والطول والشمول ، فاننا نجد لبعض الكتب العربية مقدمات وجيزة غاية في الإيجاز ، كالذي صنعه ابن رجب

كان عنوان الكتاب ضروريا له لأن الكتاب لا يعرف بغير عنوانه ، ولا يستدل عليه بدون اسمه ، فان مقدمة الكتاب لا تقل عن العنوان أهمية ، ولا تنقص عنه ضرورة ، لأنها تكشف عما في الكتاب من أغراض ، ولأنها تفتح مغالقه أمام القارىء ، ولأنها تبين منهج المؤلف في تأليفه ، وتفصح عن خطته في تصنيفه ، كما انها تكشف عن السبب في تأليف الكتاب . وهل هو من وحي المؤلف أصالة وإبتداء ، أم هو من إحياء غيره كما تكشف عن المناسبة التي دعت اليه ، وعن الضرورة التي اقتضت تأليفه .

واذا كان للمقدمة هذه الأهمية ، وهذا الشأن ، فاننا نجد مع ذلك أن كتباً عربية في القديم والحديث قد ظهرت بدون مقدمات ، وأن أصحابها وناسجي بردها قد دخلوا بها على القارىء من غير تقديم . وأغلب ما يكون ذلك في الكتب التي تعتمد على رواية الأخبار بالأسانيد ، مثل كتاب « فتوح البلدان » ، وكتاب « أنساب الأشراف » للبلاذري ، وكتاب « الطبقات » لابن سعد ، وكتاب « الأخبار الطوال » للدينوري وكتاب « المعاني » الكبير لابن قتيبة ، وكتاب « لباب الآداب » لأسماء بن منقذ المتوفى سنة ٥٨٤ هـ . فهذه الكتب تدخل على قارئها دخولا مباشرا بدون تقديم وكأنها جعلت من أول فصل فيها مسلکا الى نفس القارىء ، مع أننا نجد من أصحابها رجلا مثل ابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ هـ ، والذي لم يفته أن يصنع لمؤلفاته مقدمات طويلة أو بالغة الحد في الطول ،



# المقدمان وذكر المطادر

وأكل لحوم الناس بالغيب) . ومن هنا كان ابن قتيبة رائدا من رواد « الأدب المكشوف » حذا فيه حذوه من بعده مؤلفون من مثل العاملي صاحب « الكشكول » و « المخلاة » والأبشهي صاحب كتاب « المستطرف في كل فن مستظرف » والغزولي صاحب « مطالع البدر » .

**ولكن** ما يعرض المؤلفون في مقدمات الى التأليف ، وقد يكون السبب إيعازا من ملك ، او إيعاء من أمير ، او إشارة من كبير . وللملوك العرب والإسلام في هذا فضل لا ينكر . وقد يصرح المؤلف في مقدمة كتابه باسم الأمير الذي أشار بالكتب أو أوصى بتأليفه ، أو قدم اليه من المؤلف على سبيل العرفان والشكران . على أنه - في بعض الأحيان - قد يغفل المؤلف التصريح باسم من أمر بالكتاب أو ألف له ، كالذي فعله المؤرخ كمال الدين بن النديم المتوفى سنة ٥٦٦ هـ في مقدمة كتابه « زبدة الحلب » في تاريخ حلب » الذي طبعه المعهد الفرنسي في دمشق بتحقيق المرحوم الدكتور محمد سامي الدهان ، فقد قال في المقدمة بدون تصريح : (... وبعد : فان بعض من يتعين علي امتثال أمره ، ويجب علي الانقياد الى مولاته وبره ، التمس مني تعليق ما وقع الي من ذكر أمراء حلب وولاتها ...) .

واذا كانت اشارات الملوك والأمراء من لا تسع مخالفتهم - هي السبب الذي يذكره بعض المؤلفين لتأليف كتبهم ، فاننا نجد مؤرخا كأبي القاسم حمزة السهمي صاحب كتاب

« تاريخ جرجان - أو كتاب معرفة علماء أهل جرجان - والمتوفى سنة ٥٤٢٧ هـ يذكر في مقدمة كتابه هذا المطبوع بحيدر آباد الدكن بالهند سنة ١٩٥٠ م انه وجد كثيرا من البلدان قد تعصب لها أهلها وأظهروا مفاخرها بدخول الصحابة فيها ، وظهور العلماء من بين أهلها ، وألفوا في ذلك الكتب وصنفوا المصنفات ، ولم ير أحدا من مشايخه صنف في ذكر علماء جرجان تصنيفا ، أو أرخ لهم تاريخا ، على كثرة علمائها ، ووفرة فضلائها ... فدخل هذا الميدان ، وصنف كتابه عن تاريخ جرجان . وتوحي هذه الإشارة بأن المؤرخ « السهمي » عرف الحاجة الى كتاب في تاريخ جرجان وعلمائها كما فعل المؤلفون في تواريخ البلدان . وهذا النظر يدل على تفتن الكاتب والمؤلف لحاجات عصره ، ومطالب وقته ، ومحاولة سد كل نقص في هذا الباب ...

وتظهر في مقدمات الكتب أخلاق المؤلفين وطبائعهم ، وإذا كانوا هم لا يفتنون الى عيوبهم التي تشي بها مقدمات كتبهم ، فان هذه المقدمات تبقى بعدهم شاهدا عليهم ، ودليلا على محاسنهم أو مساوئهم . ففي بعض المؤلفين تواضع وعرفان لاقدار نفوسهم الحقيقة تكشف عنه مقدمات كتبهم أو في بعضهم غرور ومخيلة واعتداد بالنفس الى حد قليل أو كثير . ومن المؤلفين المتواضعين : محمد المحبي صاحب كتاب « خلاصة الاثر » ، في أعيان القرن الحادي عشر » وما أجمله وهو يقول في مقدمة كتابه هذا المطبوع بالمطبعة

الوهبية بمصر سنة ١٢٨٤ هـ « وما أقدمني على هذا الشأن ، الا تخلف أبناء الزمان ، عن احراز خصل الفضل في هذا الميدان : لعمر أليك ما نسب المعل الى كرم ، وفي الدنيا كريم ولكن البلاد اذا تعرت

وصوح فبتها رعي الهشيم فأنا ذلك الهشيم الذي سد مسد الكريم... وهذا غاية في التواضع وإنكار الذات ..

**الكتاب** المؤلفون الذين ركب رأسهم الغرور فعلى رأسهم ضياء الدين بن الأثير الموصلي المتوفى سنة ٦٣٧ هـ ، وصاحب كتاب « المثل السائر » المشهور . فقد غالى في مقدمة كتابه هذا بقدر نفسه ، وجرى على عادته في الفخر كقوله : « وهذاتي الله لا ابتداء أشياء لم تكن من قبلي مبتدعة ، ومنحي درجة الاجتهاد التي لا تكون أقوالها تابعة وانما هي متبعة .. » ثم عاد بعد أسطر من هذا الى المغالاة بالنفس وبالكتاب قائلا : « ... ان هذا الكتاب بديع في اغرابه ، وليس له صاحب في الكتب فيقال انه من أجدانه أو من أثرابه ، مفرد بين أصحابه . » وكأن الرجل أدرك أنه غالى بنفسه ، فقال بعقب ذلك « ومع هذا فاني أتيت بظاهر العلم دون خافيه ، وحميت حول حماه ولم أقع فيه... » . والحق أن اصحاب ابن الأثير بنفسه وبعلمه قد استثقل من كثير من الأدباء والباحثين ، حتى وجدنا أدبيا شاعرا ذواقا مثل صلاح الدين الصفدي المتوفى سنة ٧٦٤ هـ يؤلف كتابا عنوانه « نصرة الثائر على المثل السائر » يرد فيه على



دعاوى ابن الأثير العريضة ، ويقول في مقدمته «لأنه - يعني ابن الأثير - أفنى ذلك البسط في الاعجاب بنفسه والاطراء ، وأطال في الغرض من أبناء جنسه والازدراء ، وظن أن الله قد حرم الفصاحة على من يأتي من بعده ، وإن الذين من قبله أما شيخ قد خرف في هرمه وأما طفل يعث في مهده...» .

وتفتتح مقدمات الكتب غالباً بحمد الله والصلاة على نبيه ، وكان المؤلفون يتحرون الإيجاز في ذلك بدون حشو أو زخرف أو تكلف ، إلى أن جاء المتأخرون فأبنا مؤلفاً كالمحبي صاحب «خلاصة الأثر» يطيل ويزخرف في التحميد والصلاة على النبي مع الميل إلى استعمال المحسنات البديعية ، وخاصة السجع .

وفي الكتب التي فيها اعلام ، كمعاجم الرجال والطبقات وغيرها ، نرى المؤلف في المقدمة يذكر بيان ترتيب الاعلام ، كالذي صنعه صاحب طبقات الحنابلة ، وكذلك فعله المحبي في خلاصة الأثر حيث وضع منهجه ومصطلحه في ترتيب الأسماء ، وكذلك صنعه الأستاذ خير الدين الزركلي في معجمه «الاعلام» حيث يقول في المقدمة : «ورتيته على الحروف مبتدئاً بحرف الاسم الأول ، ثم بضم ما يليه إليه ، فيكون آدم قبل أمنة لتقدم الدال الميم ، وأمنة قبل ابراهيم ، لألفين في بدء الأول ومحمد قبل محمود لسبق الدال الراء ، وابراهيم ابن أحمد قبل ابراهيم بن أدهم لتقدم الحاء الدال في اسمي الأبوين ، وهكذا...» .

ونرى في الكتب التي تلخص كتباً مطولة وتختصرها أن المؤلف المختصر يميل في مقدمة كتابه إلى التفتيش من قدر الكتاب المختصر ، حتى يبدو أنه خلص الكتاب من عيوب فيه ، على حين يشيد بعض المجزين بقيم المطولات التي أوجزوها . ومن سلك الطريق الأول صفى الدين بن عبدالحق البغدادى المتوفى سنة ٨٧٣٩ حين اختصر كتاب «معجم البلدان» لياقوت الحموي في كتاب موجز عنوانه : «مراصد الاطلاع» ، في أسماء الأمكنة والبقاع ، فقد صرح في المقدمة بأن معجم ياقوت «مملوء بالفضول الذي لا حاجة إليه ، والخارج عن الغرض كالاشتقاقات التي ذكرها في كثير من الأسماء عربية أو أعجمية» وزعم أن طريقة ياقوت الحموي في الاطالة والفضل قد أتعبت الناظر ، وأملت الكاتب ، وعسر بذلك تحصيل الكتاب على الطالب....

ونرى بعض المؤلفين العرب يلجأ إلى ذكر المصادر والمراجع التي رجعوا إليها ، واعتمدوا عليها في التأليف . وكان ذلك على قلة بين قدامى المؤلفين . وبالطبع قد حذاهم الانصاف وأمانة العلم إلى ذكر مصادرهم . كالذي فعله المؤرخ ابن حجر في مقدمة كتابه «الدرر الكامنة» فقد ذكر فيها عدداً من المراجع التي زودته بالمادة العلمية في الكتاب . وكذلك فعل المؤرخ العالم اللغوي السيوطي في كتابه «بغية الوعساء» الذي ترجم فيه لمئات من النحاة واللغويين . وقد زاد المؤلفون المحدثون والمعاصرون من ذكر المصادر زيادة تلفت انظر كما نجده

في كتاب «عصر المأمون» للدكتور أحمد فريد رفاعي ، وكتاب «مصادر الدراسة الأدبية» للأستاذ يوسف أسعد داغر ، وكتاب «أدب السياسة في العصر الأموي» للدكتور أحمد الحوفي ، وكتاب «التيارات المعاصرة في النقد الأدبي» للدكتور بدوي طبانة .

ويضع المؤلفون المعاصرون أسماء مصادرهم ومراجعهم في مقدمات كتبهم غالباً ، ولكنهم يضعونها مستقلة في ثبت خاص بها في أول الكتاب أو في آخره على السواء . إلا أن بعض المؤلفين اليوم يضع المصادر والمراجع الخاصة بكل فصل من الكتاب في خاتمة الفصل ، كما نجده في كتاب «الأدب المصري القديم» للمؤرخ الدكتور سليم حسن مكتشف الهرم الرابع بالجيزة ، وكتاب «الحملة الفرنسية» للدكتور فؤاد محمد شكري ، وقد تأثر في هذا المجال ببعض الكتب الأجنبية المعاصرة .

ولاشك أن ذكر المصادر والمراجع ضروري للقارئ والباحثين الذين يحبون أن يطلعوا على النصوص الأصلية في أصولها ، على شرط أن لا يكون ذكرها على سبيل المباهاة بكثرة الاطلاع ، والتكثّر من قراءة الكتب ●



# محمد الأسمر



## عرفت

الأدب عن طريق أربعة : العقاد ، والأسمر ، والزين ، والقياتي ، والتقيت بهم جميعا في عصر واحد ، وفي سنين متقاربة ، تداخل بعضها بحكم الاتصالات الأدبية ، وتفرق بعضها الآخر بأحكام ، كان أيسرها . بعد الأمكنة ، والعيش داخل اطار محدود ، وفي نزل متواضع ، يشافه سور القاهرة القديم ، كما رسم الشيخ القياتي لحياته الطويلة ، أو رسمت له الأقدار أو كان ذلك بحكم الوراثة لبيته الذي قيع تحت سور قديم ..

أما العقاد . فقد كانت اتصالاته ومجالسه في الصحف التي عمل بها ، أو النوادي التي اتخذها ملتقى لأصدقائه ومحبيه ، أو منزله فيما بعد ذلك ، أعرف من أن يجهلها أديب . أو يسأل عنها زائر ، يروم الأدب ويتغنى اللقيا بأعيان الأدب ، أو طلابه على السواء .

أما الأسمر ، فقد كان يعمل . الى أن انتقل الى جوار الله ، منذ نصف وعشرين عاما ، بمكتبة الأزهر . يذهب اليها ، « على حسب مزاجه » ، وان كان لا يعرف من أمرها ، الا العكوف على مطالعته ، التي نددت منه في أمسه ، أو لم يتوافر عليها ، بحكم زائر ، أو قضاء وقت ، خارج اطار منزله ، في حقل أو منزله ، وهو ما كان يسعى اليه غالبا ، خوف كلاله من المطالعة ، وبغية التمرية المحبوبة .. والأسمر غالبا ، ما كان يذهب الى « نادي

الحلمية » ، كلما دعاه الداعي الى اللقاء بصحبته : الزين ، والمراوي ، والقياتي ، وزكي مبارك ، أو صفوة مختارة من أولئك الشعراء والأدباء ، الذين كانوا يثرون ذلك المنتدى باللقاء ، حتى عرف بنادي الأدباء ، وان تهدمت بناياته بعد ذلك ، واستعمل استعمالا على غير ما عرف به ، أو اتخذ من أجله .

كان ايثاري « الأسمر » ، رحمه الله ، بالملازمة والصحبة ، دون سائر الرواد ، لاصلاحه ما أكتب ومعالجته السليمة ، واصطحابه اياي في كل زيارته لندوة الراحل الفيلسوف الشيخ : مصطفى عبد الرازق ، واجلاسهم لي حيث يطيب له أن يجلس ، حتى انه كان يأخذ رأيي ، وأنا خجل ، في كثير من البحوث التي يتناولها رواد هذا البيت الكبير ، وكان يثلج صدر الشيخ ، رحمه الله ، أن يدفع إلي ، وأنا أهم بمغادرة المكان ، بكتاب للنظر فيه ، وتسجيل رأيي ، للاسترشاد ، كما كان يزعم ، بل الله ثراه .

## على

أن اللمة الأخيرة التي كنت تلك المناقشة التوجيهية ، وسط ذلك العباب من الأساتذة الذين كانوا ينصتون لتوجيه الأسئلة ، ويرضون بالحكم الذي كان يصدره الراحل الفيلسوف ..

ويعلم الله ، انه كانت تتابني أعراض « الزوغان » بعد تلك الجلسات التي كانت أشبه باختبار قاس ، يفرض علي ، ولا أستطيع

بقلم: أبي طالب زيّان



التعلة أو الاعتذار ، وبخاصة اذا كنت قد أخذت نفسي ، بأن أكون في ركاب هؤلاء الأساتذة . وعلى ملتقى أنظارهم ، في كل ما أقرأ أو أكتب ، أو أشارك ، وفي كل ذلك . ما كان « الأسمر » الشيخ ، يضمن عليّ بالرأي أو الكتاب ، حتى كانت المكتبة « الراقية » تحت يدي في كل وقت ، حضر صاحب الدار . أو ذهب الى درسه بالجامعة ، أو مكتبه بمشخة الأزهر ..

غير أن الأيام قد مضت على غير ما أود ، ويحب هؤلاء الشيوخ .. فقد تفرق الجمع . وتشتت الشمل ، ولم يعد من بقي منهم ، يبحث عن مجمع يضم شينهم . ويؤوى متفرقهم . وإن كنت قد آثرت ألا أفك عن الملازمة الحبيبة ، والصحبة الطيبة للشيخ : الأسمر ، وسماع ما ينظمه أو يرسله من آراء ، ناقدًا حينًا ، ومثنيا حينًا آخر ، وهو حفي بهذه المشاركة ، فخور بهذا التوجيه الذي أثمر ، تياه بنقدي ، غضوب إن أنا انصرفت عنه ، أو غضضت الطرف ، وتغافلت عن قصيده ، الذي كان يحلو له ترداده قبل دفعه الى المطبعة ، ومطالعات الأدباء آياه .

ولقد علمني ، رحمه الله ، المشاركة على خيرها ، ورسم لي طريقها ، وأبان لي فائدها الى آخر يوم في حياته ، وهو يعد ديوانه : « بين الأعاصير » الذي تركه من بعده ، دون أن يراه منشورا ، أو يتمتع ناظره به ، وهو يأخذ مكانه في قلوب الصحاب .

كانت المشاركة الأدبية ، في رأي « الأسمر » طرح الموضوع ، أو تناول الفكرة ، والإلمام بكل ما يدور ، أو يقال حوفا ، حتى اذا اجتمعت الآراء على شيء ، كان له أن يتناوله ، دون نكوص أو اهمال ، لعلمه بالاجماع ، واقتناعه بصواب الرأي ، وإن كانت المشاركة مما يعاب ، أو موضع مؤاخذه في كثير من الأحيان .

كان ديوان « بين الأعاصير » مشاركات وجدانية واخوانية بحتة ، شارك فيها الشاعر : بقلبه ولسانه ، جل أصدقائه الذين شاطروه الحياة ، وإن أغفل منها كثيرا ، مما شكّل آثارا جليلة في حياته ، وطبعه بطابع جميل ، كان يسعى اليه الشاعر دائما ، وهو الحب ، الذي برزت نبضاته من خلال قصائده في هذه المجموعة الضخمة . وإن كنت أنا شخصا ، أرى أن حذف أكثر هذه المشاركات قد جاء نتيجة لطبع الديوان بعد وفاة صاحبه ، أو لعدم استحسان المشرفين على طباعته ، باحتفال الشاعر الكثير بهذه الاخوانيات التي قعد لها جل وقته ، ولث وراءها ، حتى كان يدفعه حبه ، الى أن يسهر الليل بطوله . لإكمال قصيدة ، قال مطلعها الشيخ « الصبان » ، في ندوته الأدبية بمصر الجديدة ، ويثلج صدره . أن يلحق به ، في أرض « المضار » ، ليدفع اليه القصيدة كاملة ، قبل أن يطير الشيخ ، رحمه الله ، في يواكير الصباح الى الحجاز .

نزهة

والأمر الذي لا يختلف عليه ، أو يتطرق اليه الشك ، هذه الانطباعات التي درج عليها الشيخ : الأسمر ، في كل هذه الأغاريذ العذبة التي امتلأ قلبه بها . قبل أن يرسلها على القرطاس ، فياضة ، حبيبة ، زاكية .

وفي قصائد « الاخوانيات » ، ما يُغني عن ضرب المثل ، أو اقامة الدليل .

فالشاعر حين يُحيي الأستاذ : محمد علي الطاهر ، أو الأستاذ : الماحي ، أو يكتب الى الأديب العراقي : ابراهيم الواعظ . أو مهدي رفيع مشكي ، أو الدكتور : عبد المنعم صبحي ، أو اللواء : صالح حرب ، أو علي علوبة ، يجعل الحب ، هو العماد الذي تدور عليه المشاركة ، ويسير على طريق مرسومة . عبدها بقلبه . وخطتها بوداده ..

أهدى الشاعر ديوانه الكبير الذي نشره في حياته ، قبل أن يلم « بين الأعاصير » ، الى صديقه : الواعظ فأرسل اليه بقصيدة يشكره فيها وقد ضمنها أسماء بحور الشعر ، فأجابه الأسمر :

يا « محيطا » أهدى إليّ « بحورا »  
هي من حسنها تموج وحقها  
أنا في لجها أغوص وأطفو  
غمرتي ولست فيها مفبقا  
يا أخي بالعراق أدرك على  
مصر أخا كاد أن يكون غريقا  
كما يقول الشاعر لرفيع مشكي :





سحرا ذلك الذي ترسله نغما موسيقيا في أسلوب سهل ، فيسري في الأرواح ، ويفجر العواطف خلالها تفجيرا . »

والواقع ، أن التعرض لشعر الأسمر وتحليله ، لا يمكن أن يتم بيسر وإن كانت دلالات الرقة وملكات السهولة ، أكثر من أن تحصى في شعره ، ويكفي أن تكون واحدة تنبئ عن هذه الأصالة ، وتدل على هذه الأريحية .

زار الشاعر ، جلالة الملك « فيصل » وهو يومذاك أمير ، فكانت هذه الرقة ، وكانت هذه العاطفة النبيلة :

حديثه السحر الحلا  
ل هكذا سمعته  
والله لا أنساه في  
مصر غداة زرتـه  
ولست أنسى ما  
سمعت منه أو شهدته  
فعدت مفتونا به

أقول فيما قلته  
نعم الأمير « فيصل »  
أحببته ، أحببته

رحم الله الأسمر ، بقدر ما أحسن الى العربية ، ومشى بي على طريق الرشاد ●

أبو طالب زيان - القاهرة

كل يوم تصنع الشمس لها  
من عباب البحر غزلا وثيابا  
ولا يقل الشاعر في نظرتـه الى الحياة الهادئة  
عن نظرتـه الى دنياه ، حين يعانها ، وينشد  
منها الهدوء ، وبخاصة انه آثر أن تكون دنياه  
بيته ، وصديقه كتابه :

عابتها حتى مللت عتابي  
دنبا برمت بها وبالأصحاب  
حتى هوى الأحباب أصبح زاويا  
عندي عشية غاض ماء شبابي  
فالآن بعد أن انتهى عهد مضى

دنياي بقي ، والصديق كتابي  
والذي يتتبع لمسات الأسمر ، يرى ألوانا  
جديدة من الشعر ، ارتضاها الشاعر ، فكان  
منها هذا اللون الوعظي الذي رسم به ما تجري  
به الحياة ، وما يدور في فلكها ، فيفيض  
شعاعا على العقول ، ويعرف به الطريق الى  
الإصلاح أو الانحراف .

فوق العقول أمور في الحياة جرت  
ففرقت بين شيطان وقديس  
جلت مقادير ربي عن مداركتنا

سبحانه من عظيم الشأن قلوس  
وللأسمر ، وقفات في « الشرقيات »  
و « السياسيات » و « المصريات » و « السعوديات » ،  
ما أحسبها بمختلفة عن شعره الذي قال له فيه  
الراحل : مصطفى عبد الرازق : « لشعرك تأثير  
في نفسي ، أحسبه يفوق ما يفعل الشعر ،  
ذلك أنه فيض نفس أحبا ، وقد يكون

« رفيع » كرم الله  
به « مصر » و « ايرانا »  
عظيم من بني الفرس  
عظيم بيننا شانا  
فمن يسعد بقلبه

يقبل لاقبت سلطانا  
و « الأسمر » الذي جنح بكتفه الى  
« الأخوانيات » ، حتى حسبه القارئ له ،  
بغوص في المناسبة ، ويعيش مع تيارها ، يبدأ  
في : « الشمس » و « قصة الانسان »  
و « راسبوتين » و « العفريت الشاعر »  
و « العصفور الصغير » و « دنياي » و « أين  
الهدوء » و « المأوى » و « بين العقل والباطن »  
و « صوت من القبور » و « بعد الخامسة  
والخمسين » و « حول المقادير » و « الله أكبر »  
و « العين » و « تغريدة الصباح » ، يلفت النظر ،  
ويشد الانتباه .. فالشاعر ينظر الى « الشمس » ،  
نظرة تختلف كل الاختلاف عن نظرات الشعراء ،  
فهي في رأيه ، قد غزلت من لجة البحر هذا  
البخار الذي يتصاعد في هدوء ، ثم تذهب  
لتنسج هذا الغزل سحبا ، حتى يبدو عجيبا ،  
وان كان هذا النسج يتكرر كل يوم :

غزلت من لجة البحر بخارا  
صاعدا كان على الأرض عابا  
غزلته في هدوء لم راحت  
في هدوء تنسج الغزل سحبا  
غزلته ، نسجته ، لونتـه  
فبدا في أفقه شيئا عجبا



# مَدِينَة



## بقلم: الأستاذ حسن كمال

فالحضارة الانسانية اليوم هي حضارة تميل في نزعتها نحو العالمية ، الأمر الذي يجعل العديد من البعثات الأثرية الأجنبية تتجشم المشاق والصعوبات للمثول الى أرضس ليست أرضهم والتنقيب عن آثار حضارة ليست حضارتهم رائدهم في ذلك هدف واحد ، هو الكشف عن الحقيقة والسبق العلمي في التحدث عن موضوع جديد ، أو تحديد نظرية جديدة في مجال جديد من مجالات الآثار .

وكنتيجة طبيعية لهذا الوضع الجديد كان لابد من البحث عن الجذور الحضارية للأرض التي عليها عاش الأجداد ويعيش عليها اليوم الأحفاد .

غير أن التعاون الانساني البناء في المجالات العلمية والذي يشهده العالم اليوم حمل العديد من المؤسسات العلمية المتقدمة على مساعدة الدول التي ما زالت تطور مؤسساتها في ميادين شتى ومنها ميدان الآثار ، والتنقيب عنها في شروط

السيف علم الآثار ، الذي أخذ مكانته الرفيعة اليوم بين العلوم ، كشف النقاب عن مدن كثيرة ترقى الى عصور خلت منذ عشرات القرون ، مدن على جانب من الأهمية كبير ، لا لأهميتها الاستراتيجية ولا لامتدادها المترامي الأطراف فحسب ، وإنما لما فيها من العناصر الحضارية التي تدل بوضوح على أن شعبا عاش ذات يوم في هذه البقعة من أرض الله الواسعة ، وكأني بأبناء هذا الشعب قد آلموا على أنفسهم الا أن يتركوا للأجيال القادمة أمثلة حية عن كفاح خاضوه وأبلوا فيه بلاء حسنا . وأبوا الا أن يكونوا عناصر بناء وعطاء في أرض عاشوا فيها ، وحقة من الزمن مرت بهم أو مروا بها ، خاصة وأن التراث الحضاري اليوم لم يعد ينظر اليه على انه تراث لجماعات معينة وإنما النظرة الجديدة، تعتبره تراثا حضاريا للناس جميعا ما داموا قد أفادوا منه وتأثروا به وأثروا فيما بعد بالآخرين .



مخلفات من معالم مدينة أفسس الأثرية .



« أنطيوخوس » الأول . وهي إحدى أميرات بلاد فارس والثاني كان الاسكندر الكبير المقدوني قد زوجهن لضباطه في عرس فخيم في سوسة . ونحن إذ نتحدث عن مدينة أفاميا يجدر القول انه من بين المدن الست المسماة أفاميا والتي بناها القائد سولوقوس أو ابنه فان أفامية العاصي كانت لها الرفعة عليها جميعا ، وكانت تتنافس في الازدهار والشهرة مع مدن ثلاث أسست في سورية الشمالية هي انطاكية والسويدية واللاذقية . وتأتي أفامية العاصي في الأهمية

المقدونية بالمركز فيها حوالي نهاية القرن الرابع ق.م . وتأسس مدينة أصقوا عبيها اسم بيلا . ويقول صاحب كتاب « أفاميا السورية » الأستاذ فيرهوغن : « موقع المدينة عسكري وحصوة الأرض لجودة له ساعدتا على التطور السريع للمدينة . وبحسب « بلوتارك » فقد تغير اسم مدينة وأصبح « كيرسوزوس » . وأخيرا أطلق عليها اسم أفاميا تيمنا بأفاميا الفارسية زوجة القائد « سولوقوس نيكاتور » وأم ملك انطاكية

علمية جيدة . يحدوها في ذلك هدف واحد هو البحث عن الحقيقة العلمية والوصول إليها بكل الوسائل المتاحة . ومن ثم التحدث عنها في مؤتمرات فنية تصل فيما بعد إلى أوساط أصحابها في أوساط العالم أجمع .

ولا يستغرب قارئ كريمة إذا علم أن نتائج التحقيق على اختلاف أنواعها تؤلف عادة إلى صاحب الموضوع الأم لتلك الآثار ولو كتب لقطعة الأثرية أن تعيش في أرضها . في مستهل لكان ذلك إحدى لها . ومن حق في الحفاظ على تراثه والاعتزاز به . غير أنوض ؟ وهذا ما يجري اليوم في القطر العربي السوري الذي يعمل على أرضه ما يزيد على الثلاثين بعثة أثرية أجنبية (١) ناهيك عن العديد من البعثات السورية . وحصية أعمال البعثات النوصبة والأجنبية تؤلف إلى المتاحف السورية .

تلك هي كلمة لا بد لي من قولها عند الحديث عن مدينة أثرية قديمة كانت فيما مضى مهدا لحضارة رفيعة وينبوعا من المعرفة لا ينضب له معين .

والمدينة التي نحن بصدد الحديث عنها هي مدينة « أفاميا » التي لعبت دورا مهما في القرون الخالية ، غير أن توالي الحروب وتأثير عوامل الضيعة والاهمال الذي حقق بها عبر القرون حولها إلى حرائب تمتد على هضبة تصل إلى وادي العاصي . وتقع على بعد خمسة وأربعين كيلومترا شمال غربي مدينة حماة وعلى بعد تسعين كيلومترا حوبي مدينة انطاكية ، حيث مستنقعات سهول الغاب التي حلت منذ القرون الوسطى محل بحيرة كانت مرتعا لكميات كبيرة من الأسماك ، أما اليوم فقد جففت تلك المستنقعات وتحولت إلى سهل صالح للزراعة . وكأكثر المدن القديمة يطل على المدينة مرتفع صخري كان يقوم عليه اكروبول المدينة والذي يشغله اليوم قرية صغيرة يطلق عليها قلعة المضيق . المضيق هذه كان يحيط بها

سور يعود إلى القرون الوسطى ، وبالرغم من قدم هذه المدينة فإنها لم تدخل التاريخ إلا في عصر غزوات الاسكندر الكبير المقدوني ، وتشير الوثائق التي عثر عليها في أساس أحد المباني التي تعود إلى العصر الروماني والمكتوبة بالهيروغليفية الحديثة ، تشير إلى أن هذا الموقع التاريخي كان في بداية الألف الأول قبل الميلاد داخلا في حدود مملكة حماة . ولم يكن في هذا المكان على ما يبدو الا قرية صغيرة تسمى « فارناكة » وذلك حين قام بعض الجنود

(١) احداها البعثة الأثرية البلجيكية التي تعمل في أفاميا حاليا برئاسة الأستاذ جان باتي .



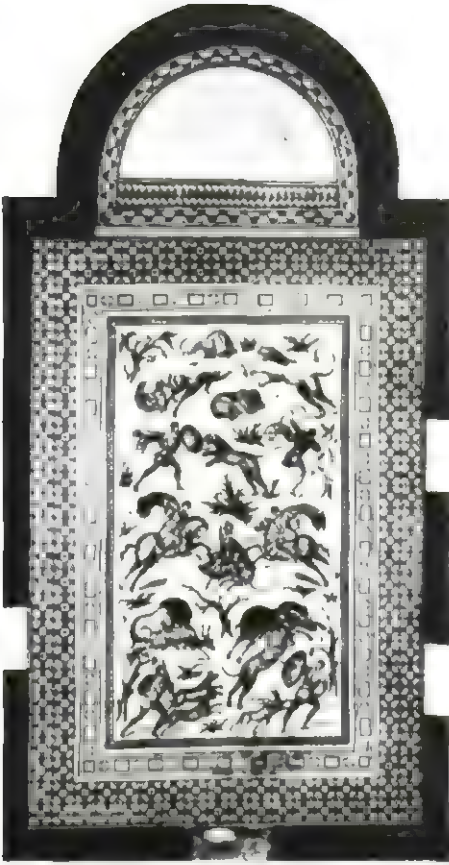
التي كانت من أهم الحصون في المنطقة القديمة .

بعد انطاكية وكان عدد سكانها آنذاك حوالي سبعة عشر ألف نسمة حسب ما ورد في وثيقة تخص موظفًا رومانيًا يدعى «إيموليوس سوكوندوس» الذي قام بناءً على أمر من رسول كيرينيوس بعملية الإحصاء .

ولقد ظلت هذه المدينة لفترة طويلة العاصمة العسكرية للمملكة ، ففيها قام السلوقيون بإحلال الإدارة العسكرية ، وفي قلعتها وضعوا الكنوز التي غنموها خلال حروبهم . وبحكم موقعها الجغرافي على مفترق الطرق المصروقة آنذاك فقد

تمتعت بمكانة استراتيجية مرموقة . استطاعت الحفاظ عليها حتى العصر الروماني . وفي هذه المدينة قام « أنطيوخوس » الثالث بأعداد الحملات العسكرية ضد مصر ، وفي مراعيها الخصيبة بنيت زرائب الخيول ومجمعات القيلة . تلك القوة الهائلة آنذاك التي أفاد منها السلوقيون في حروبهم .

وخلال العصر الهلنستي أصبح لهذه المدينة مخطط تنظيمي هام تجلت من خلاله بعض المميزات العمرانية فيما أنشأه السلوقيون من طرق .



قطعة من الفسيفساء كانت تغطي أرض قاعة الولائم في أحد مباني الحي الحموي الشرقي في مدينة .



معظم الأعمدة التي أقيمت عليها نحتت تحليها النقوش والزخارف الجميلة .



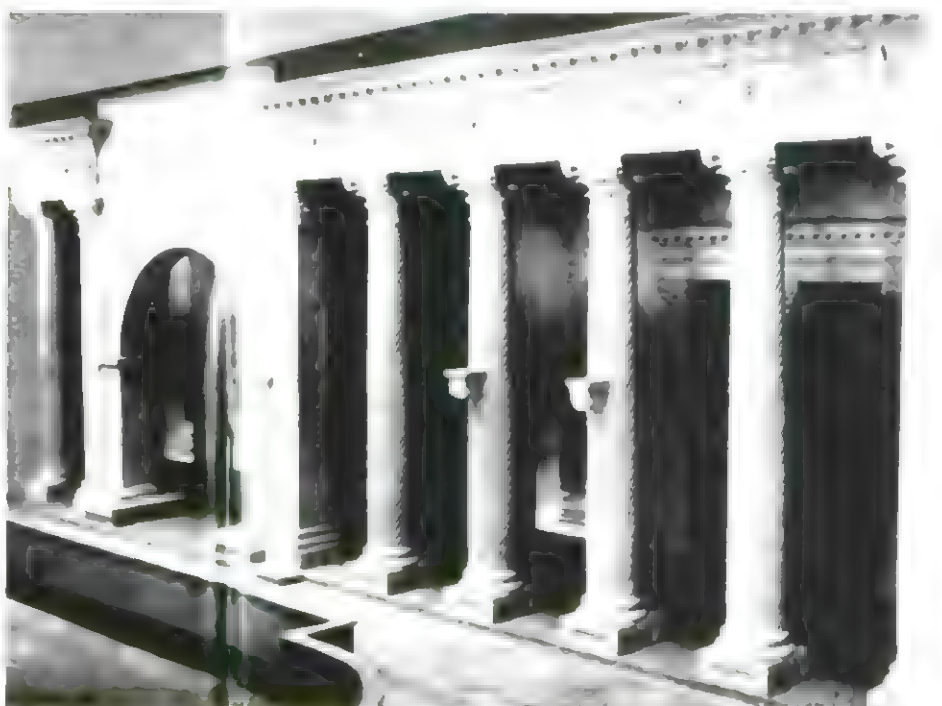


الطريق الرئيسي الممتد من شمال إلى الجنوب مع الطرقات المتجهة من الشرق إلى الغرب قسم المدينة إلى سطوح رباعية الشكل . وهذه السطوح هي التي بنيت عليها البيوت . أما الساحة العامة . فكانت تشكل في المدينة مجموعة معمارية مستقلة بعيدة عن متفرقات الطرق . وهذا ما نصادفه في كل من دمشق واللاذقية وانطاكية . وتشغل خرائب المدينة اليوم مساحة تقدر بمائتين وخمسين هكتارا تقريبا وهي في حقيقتها خرائب المدينة الرومانية والبيزنطية المتوضعة فوق المدينة الملتصقة والتي جرت عليها بعض التعديلات لجعلها ملائمة للعصر الامبراطوري . وقد شهد القرن الثاني عددا كبيرا من البناء قام بعضهم بتجهيز الشارع الرئيسي بأروقة مقفلة على طول ١٨٠٠ متر تقريبا . وزيد في عرض الشارع المذكور حتى بلغ عرضه من الجدار للجدار ٣٧,٥ متر . منها ٢٢,٥ متر عرض الطريق مخصص للعربات . بينما بيع عرض كل رواق ٧,٥ متر .

هذا وقد وجد المنقبون أسماء عدد من الشخصيات الهامة ومنهم الامبراطور « أنطونان » و « لوسيوس ليروس » ١٣٠ - ١٦٩ م منحوتة على بعض الأعمدة المحنورة والواقعة بالقرب من مدخل « لاعورا » لساحة العامة . وهذه الأسماء توفر لنا معلومات أكيدة عن تاريخ هذه شتات .

وقد جرت أعمال تجميل في الشوارع الصغيرة المتجهة من الشرق إلى الغرب تشبه تلك التي جرت في الشارع الرئيسي ولكن بنسب أصغر . وقد جرت هذه الأعمال بصورة خاصة في شارعين اثنين على الأقل حيث كانت تمر القوافل المتجهة نحو الصحراء وتدمر أو نحو البحر . هذا وكانت واجهات بعض المباني الملتصقة بالأروقة . وكذلك الأقواس التي تسمح بالمرور

فتقاطع الطريق الرئيسي الممتد من شمال إلى الجنوب مع الطرقات المتجهة من الشرق إلى الغرب قسم المدينة إلى سطوح رباعية الشكل . وهذه السطوح هي التي بنيت عليها البيوت . أما الساحة العامة . فكانت تشكل في المدينة مجموعة معمارية مستقلة بعيدة عن متفرقات الطرق . وهذا ما نصادفه في كل من دمشق واللاذقية وانطاكية . وتشغل خرائب المدينة اليوم مساحة تقدر بمائتين وخمسين هكتارا تقريبا وهي في حقيقتها خرائب المدينة الرومانية والبيزنطية المتوضعة فوق المدينة الملتصقة والتي جرت عليها بعض التعديلات لجعلها ملائمة للعصر الامبراطوري . وقد شهد القرن الثاني عددا كبيرا من البناء قام بعضهم بتجهيز الشارع الرئيسي بأروقة مقفلة على طول ١٨٠٠ متر تقريبا . وزيد في عرض الشارع المذكور حتى بلغ عرضه من الجدار للجدار ٣٧,٥ متر . منها ٢٢,٥ متر عرض الطريق مخصص للعربات . بينما بيع عرض كل رواق ٧,٥ متر .





نحو الشوارع العرضية تحول دون احساس المرء بالرتابة التي كان يمكن أن تتولد في شارع مستقيم طوله ١٨٠٠ م . يضاف الى هذا أن الأعمدة النذرية القائمة في بعض نقاط تقاطع الطرق كانت تحول كذلك دون حدوث مثل هذا التناغم ، فالاغورا بمدخلها الضخم وجدرانها ذات التوافذ المحددة ، وسددها ذات الأعمدة المزدانة بالأغصان ، وكذلك معبد تيشه وكثير من المباني التي لم تحدد بعد هويتها ، وجدت كلها في مجمع انشائي كبير ، وما زال علماء الآثار من السوريين والأوروبيين يعملون بنشاط كبير في أرض هذه المدينة بغية الوصول الى كتابة تاريخ أكثر المباني التي ما زالت حتى يومنا هذا قيد البحث والدرس . وتجدل الإشارة هنا الى أن أكثر المباني التي تم اكتشافها ودراستها ومعرفته أهدافها هي : الملاعب والحمامات ، وقنوات المياه ومسارح ،



- ١ - هذا هو أحد إنشاءات عمود حديثة في سجن ملكي في بروكسل كنسخة مما كان عليه في الأصل .
- ٢ - حطب من محفلات مدينة أفميا .
- ٣ - حطب من راحة وقد نقش في صورة حطب .
- ٤ - كنيسة حربية ضخمة تميل نقوش تمل صور سحر في راحة سحر في راحة .
- ٥ - حطب من راحة سحر في راحة .
- ٦ - مجموعة من أعمدة الضخمة التي تعكس روعة البناء الذي شهدته مدينة أفميا .





هذه الأعمدة ما زالت باقية رغم عاديات الزمن .







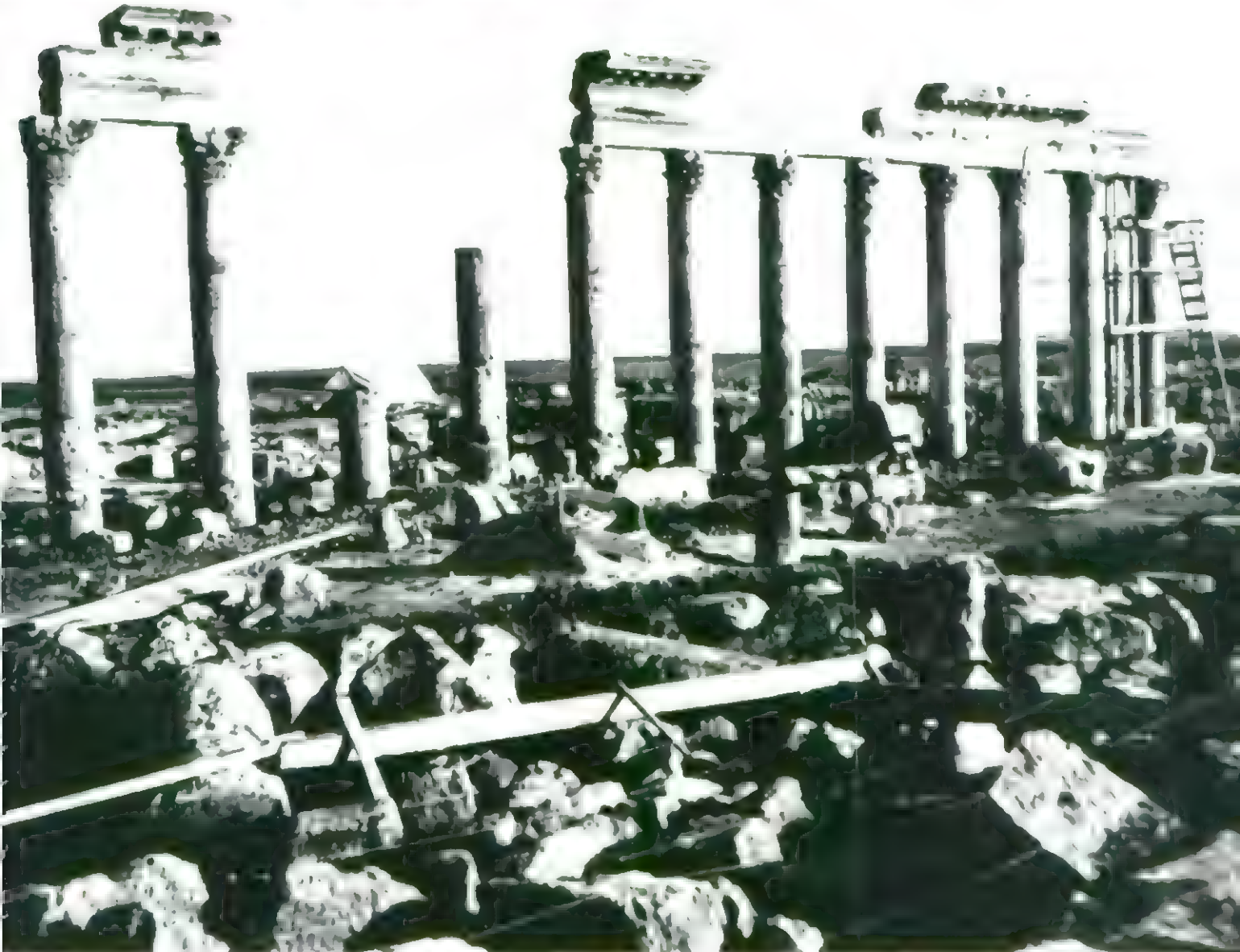
١ - هكذا يبدو بعض أعمدة الشارع الرئيسي بعد أعادته، من ما كانت عليه .

٢ - مدينة أوميا الأثرية بعد أن تعرضت لعمول الطبيعة وللزلازل .

٣ - جدار من أعمال ترميم التي أحريت على بعض المباني لخدمة في مدينة أوميا .

٤ - كمال من الحجارة المتناثرة حتمتها الهزات الأرضية التي تعرضت لها المدينة .

٥ - إحدى مراحل عمل الجارية على ترميم أعمدة الشارع الرئيسي في المدينة .









وقد عثر المتقنون فيها على مساحات واسعة من لوحات الفسيفساء التي كانت تغطي المباني الدينية والمدنية وتمثل في كثير من الأحيان مناظر صيد الحيوانات وفق الأسلوب الواقعي، وتمثل كذلك زخارف هندسية تأخذ في تنسيقها بمجامع القلوب، ولكن يبقى أجملها وأكثرها حيوية ما مثلت الانسان، الذي أعاره الفنانون القدامى اهتماما كبيرا ومثله في أوضاع مختلفة. وخلال القرنين الخامس والسادس بني في أفاميا العديد من المعابد الدينية الهامة ذات المخططات المختلفة الأشكال ومنها واحدة بخمس حنيات أجريت عليها فيما بعد بعض التعديلات لجعلها صالحة للقيام بالاحتفالات الدينية الكبيرة،

حدودها، وعلى سبيل المثال فإن الكتيبة الثانية «بارتيكا سيفريانا» التي ساهمت في تلك الحملات كانت موجودة في أفاميا عند الحوادث التي رافقت اعتلاء «هليوغابال» العرش الامبراطوري عام ٢١٨ م. ولقد شهد القرن الرابع في أفاميا، اشادة العديد من المباني المزخرفة، غير أن هذا لا يعني أن المدينة كانت مغمورة في القرون السابقة بل على النقيض من ذلك فقد تألقت في القرن الثالث وتمتعت بسمعة رائعة حتى أمها الفلاسفة والأدباء من كل حذب وصب، وكان الروائي «جامبليك» الذي ولد في سورية واحدا من هؤلاء الذين تحلق حوله الأدباء والشعراء والفصحاء فيها.

وتشهد هذه المباني بوضوح على عملية تجميل المدينة السلوقية القديمة من قبل أسرة أنطوفان. وما رافق هذه الأسرة من ازدهار في مدينة أفاميا استمر حتى أيام أسرة سيفر، وقد عثر في المدينة على نص يشير الى أن منشآت كثيرة في هذه المدينة قد تم بناؤها بمناسبة زيارة أفراد من العائلة الامبراطورية، كما جرى لإبان زيارة «جوليا دومنا» وكراكلا. وتشير النصوص الى أن الأباطرة أقاموا في هذه المنطقة في فترات مختلفة ليس بحكم ارتباطهم العائلي مع حمص القريبة من أفاميا، ولكن بحكم موقعها الجغرافي الاستراتيجي والتي كانوا يرسلون الحملات العسكرية ضد البارتين الذين كانوا يهددون

تمثل هذه الأعمدة التي اعترتها عوامل التمرية والتحات جانبا من المعالم الأثرية لمدينة أفاميا.



وقد اقترنت هذه المدينة من نهايتها يوم  
هاجمها الفرس بجيوشهم عام ٥٧٣ م . ومنذ  
ذلك الحين لم تقم لها قائمة ، يضاف الى ذلك  
الهزة الأرضية التي ضربتها والتي لم تبق فيها من  
آثار العمران والحضارة الا أن قلعتها هي الوحيدة  
التي كتب لها أن تلعب دورا مهما في القرون  
التالية تحت اسم أفاميا ، وقد احتلها العرب  
عام ٦٣٨ م .

ويجري العمل اليوم فيها لرفع أعمدة الشارع  
المستقيم أو الرئيسي ، وبالتالي ترميم ما اكتشف  
فيها من المباني الهامة بغية اعادتها الى صورتها  
السابقة ●

حسن كمال - دمشق

كما هي الحال في إحدى قاعات الولايم والتي  
تم اكتشافها في أحد مباني الحي الجنوبي  
الشرقي من المدينة . والقاعة المذكورة كانت  
ترين أرضها لوحة من الفسيفساء وتغطي مساحة  
قدرها ١٣ x ٨,٥ م . وقد اغتنت اللوحة  
بعناصر زخرفية هندسية وحيوانية ممثلة لرحلة صيد  
من رحلات سادة القوم . وتنفق هذه اللوحة  
ما عداها مما اكتشف في أفاميا أو انطاكية  
سواء من ناحية التكوين أو من ناحية التصوير  
والتفاصيل التقنية ، وتقترب بوضوح من لوحات  
الفسيفساء التي أبدعها الفنانون السوريون في نفس  
الحقبة من الزمن في القصور الامبراطورية  
في بيزنطة .

كما رمت على أثر الزلزال الذي ضرب المدينة  
في النصف الأول من القرن السادس وأدى  
الى تخريبها .

كما تعرضت المدينة خلال ذلك القرن الى  
تهديدات الفرس المتلاحقة والذين هاجموا المنطقة  
بأسرها عام ٥٠١ م وقاموا بتخريب سورية  
الشمالية دون أن تتمكن الجيوش البيزنطية آنذاك  
من حماية الحدود المهاجمة مما شجع المعتدين  
على مضاعفة الهجمات عليها ، وقد وصف  
أحد المسافرين الايطاليين وهو « أنطونان  
دوبليزانس » المدينة آنذاك بالمدهشة ، وهذا  
ما أبدته التقييات الأثرية والتي دلت على أن  
المدينة كانت غنية في مبانيها ، جميلة بزخارفها





# الكاتب



تأليف: الأستاذ عبد التواب يوسف  
عرض وتعليق: الأستاذ عبد الفتاح أبو مدين

.. ممتع حقا ، « عمل أدبي روائي انساني » .  
كما ذكر على غلافه الأخير ، لا تتجاوز صفحاته ١١٩ صفحة ، كتبه الأستاذ عبد التواب يوسف عن أبيه المعلم بهذا الاسم الذي اتخذته عنوانا ، لأنحدث عن هذا الكتاب الذي يكتبه ابن عن أبيه المدرس ، بصدق ، وتجرد ، لأن أباه كان ملخصا لرسائله ، وفيها لها ، بذل قصارى جهده ، ليضيء الطريق للآخرين ، يعطي من ذات نفسه ، يكذب ، ويجد ، في مطلع القرن الحالي في قرى مصر ، النائية الصغيرة ، ينشر العلم ويشيعه بالمجان ، أو يدخل زهيد ، بدأ بجنيهين مصريين ، وهو سعيد كل السعادة بالنجاح الذي يحققه كل يوم ، بل كل ساعة ، في حصة درس يؤديها لأبنائه الصغار ، بل اخوته لأنه كان شابا وقت أن اختير مدرسا ، يث في نفوسهم روح حب الوطن . ومعرفة تاريخه ، وجهاد رجاله للتخلص من المحتل ، الجاثم على أرض الوطن . كان ذلك أيام المناضل سعد زغلول وجهاده . والأستاذ « يوسف » يتحمس لانتفاضات أمته ، ويتابع بقلق أخبار اعتقال سعد زغلول ، ويشارك بيث الوعي في القرية ، للمطالبة بالإفراج عن الزعيم مع الشعب الذي وقف مع سعد ، ويندد بأعمال المحتل . وقمعه لنداء الحرية . ويوسف يومئذ في بافع . ولكن عقله ونفسه أكبر من سنه . وبصيرته أبعد وأعمق من حجمه . ليت تلاميذ الأمن وضلانه . الذين أصبحوا اليوم رجالا . يحتلون مراكز كبيرة . مرموقة . يديرون . ويشاركون في الحكم . لهم أقدارهم ، ونفوذهم وكلمتهم المسموعة . ولهم الرأى العريض .

ليتهم يتذكرون أساتذتهم الذين أثروا في نفوسهم ، وأناروا عقولهم ، وعلموهم ، وأضاءوا لهم سبل النور بالعالم ، فيدعوا لهم بالخير ، ويرحموا عليهم . ويحسنوا الى المعوز منهم ، والذي قعد به جهده . وتقدمت به السن . ولم يجد من يواسيه . ليتهم يفعلون شيئا من ذلك . اعترافا بالجميل . وكفاء جزاء . ليهلأوا أنفسهم مدرسيهم سعادة . ويجعلوهم يجددون ذكرياتهم تغدو نفوسهم البهجة والرضا . على ما قدموا وما بذلوا من جهد . وما ضحوا من أجل أداء رسالتهم السامية في اشاعة العلم . ونشره بين طلابهم . لكي يصبحوا رجال الغد — اليوم .

# الرسالة

وما أسعد النفس ، حين تنال جزاء ما قدمت .. عن رضا ، تبغى الخير ، وتيسره ، لا تبغى بذلك جزاء ولا شكورا الا من الله عز وجل .

وليس أسمى على النفس من الجحود والنسيان والاهمال ، لأن جزاء الإحسان إحسان مثله ، بل أكثر .

في الفصل الأول من كتاب الأستاذ « عبد التواب يوسف » المطبوع في دار المعارف بمصر في العام الماضي ، يسأل أباه هذا السؤال :

« هل يعطونك ما يقابل هذا الجهد الجهد ؟ »  
وكان الأب المدرس يتسم ويرد في هدوء :

« لا تتوقع من الحياة أن تعطيك مقابل ما تبذل . ثم اني لست بقالا ولا عطارا ، فيمكنني تقدير ثمن بضاعتي ، ولكني على ثقة من أن لجهدي ثمنا غير منظور ، لا أعرف كيف يمكن أن يؤدي لي ، بل لا أنتظر أن يؤدي . انني أوثر أن التعليم ليس وظيفة ، ولا مهنة ، ولا عملا ، انما هو « رسالة » و .. « حياة » .

هذا هو جواب انسان يؤدي دورا مهما في الحياة ، والذي يملأ نفسه هذا الايمان بالواجب ، في أجل رسالة لا بد انه أداها ويؤديها بكل ما يملك من قوة وصدق وتضحية وصبر .

ينمي فكره وعقله ، ويزداد على كل يوم ، ويؤدي ما يعلم وما يتعلم في ائتمان وأمانة وصدق ، وحرص الى تلاميذه ، يحدثهم من القلب الى القلب ، ليصل اليهم ما يفرغه فيهم من ثقافته ، ويؤثر فيهم ويشدهم اليه ، لأنه صادق ، وقد صدقهم ، وما كان من القلب فانه يصل الى القلب مباشرة ، ويعمق أثره وتأثيره ، ويحقق نتائج قوية لا تضعف ، ولا يتسرب اليها الشك .

وهذا هو دور المعلم المثالي ، ورسالته ، وما عدا ذلك فوظيفته ، كأي وظيفة ادارية أو استثنائية ، لا يعول عليها ، ولا تأثير لها ولا أهمية لشأنها .

ومضى عبد التواب ، يتحدث في الفصل الأول من كتابه عن أبيه . فبيننا بأن الأب سقط مريضا . ومضى به في القاهرة الى طبيب ، أستاذ جامعي ، تجاوزت شهرته بلاده . وانتظرا أمام عيادة الطبيب المشهور دورهما انتظارا طويلا ، ودفعوا قبل أن يدخلوا على الطبيب أجر الفحص ، جنيهين ، وكانا يومئذ مبلغا ، له قيمته ، لا سيما .. على أمثالهما .

وحين جاء دورهما دفعا الى داخل عيادة الطبيب الكبير ونظر الطبيب نظرة تفحص ، فعرف الشيخ وراح يحياه ، ويرحب به ، وظن الابن انها عادة عند الطبيب ، يلاطف زائريه ، ويحتفي بهم ، ثم بدأ يفحصه ، وأخذ ذلك وقتا أكثر مما يتوقع عادة ، فقد طالت عملية الفحص ثم أخذ الطبيب يسأل الشيخ أسئلة مختلفة ، أكثرها شخصية ، عن دراسة عبد التواب ، ابن الشيخ يوسف . ثم قرر الطبيب ضرورة بقاء الشيخ في أحد المستشفيات ، للعلاج والملاحظة ، وحدد لذلك مستشفى الخاص ، وأحسن الأب والابن بالحرج . من أين لهما نفقات الإقامة في المستشفى والله وحده يعلم بحالهما .

وكتب الطبيب بضعة أسطر على ورقة ، وطواها ، ومدها للشيخ ، وقال له ، عليك أن تكون صباح الغد بالمستشفى ، وفي الورقة العنوان ، وأحضر معك الأشياء المطلوبة ، وهي الملابس ... وما اليها ، ومضى الشيخ وابنه الى باب العيادة والطبيب خلفهما ، يودعهما محيا الشيخ ، مجددا الترحاب .

وخارج العيادة .. والطبيب خلفهما ، فتح الشيخ الورقة التي تناولها من الطبيب ، فإذا بها الجنيهان اللذان دفعهما كأجر للفحص ، والتفت ليقول للطبيب في دهشة : ما هذا يا دكتور ؟ وابتسم الطبيب قائلا : هذه أجرة الكشف ، وسوف أكون شاكرا لو قبلتهما .

وسأل الشيخ الطبيب : لماذا تردها ؟

وابتسم الطبيب مرة أخرى ، وقال للشيخ : سوف أكون سعيدا لو جلست اليّ ، لأشرح لك الأمر . وعاد الاثنان الى العيادة .





وقدر الشيخ الجنيهين اللذين ردهما اليه الطبيب مليوني جنيه ، واحتفظ بهما في علة بقية حياته ، لم تمتد اليهما يده لينفقهما ، حتى ساعة الحاجة ، وكان كلما ضاقت به الحياة وأظلمت ، مد يده الى العلة ليفتحها ، وينظر في الجنيهين ، فيعود اليه الأمل من جديد ، وتطيب نفسه .

وحين نتابع قصة الشيخ عبد التواب يوسف من أولها ، نجده طفلا في قرية « الفشن » من صعيد مصر ، ألحقه أبوه بكتاب الشيخ « عبد السميع » ليحفظ القرآن الكريم ، ويظهر ذكاء الطفل ، الذي لم يتجاوز الثامنة ، ويزداد حفظه ، ويزر أقرانه ، حتى الذين سبقوه ، فيصبح عريف الكتاب ، ويتم حفظ القرآن في ثلاث سنين ، ويقرأ تاريخ بلاده ، ويتابع نضالها ، ويشارك فيه ، بعد أن أصبح معلما في القرى المجاورة لقريته .. في صعيد مصر ، ويتعرض للفصل والطرده ، ولزوم قرية قسرا ، ويمضي ، يجاهد ، يعلم ويزرع حب الوطن في تلاميذه ، وكانت الساعة الثامنة كل صباح موعد سعادته ، ليلقي بتلاميذه ، ليحدثهم عن دورهم ، وما ينتظر منهم الوطن ، وكل حصة من دروسه ، ميلاد جديد لسه وتلاميذه . فأحبوه كل الحب ، وآثروه على غيره من المعلمين ، وتعلقوا به . وظل ينتقل من قرية الى قرية أخرى ، ينشر العلم ، ويحث على العمل ، لا يتوانى ولا يكل ، ولا يسعى الى جاه أو مال ، وإنما هو صاحب رسالة يؤديها ، سعيدا بهذا الدور الانساني الكبير الذي ينهض به ، الى أن يتوفاه الله ، فيمشي في موكب جنازته البلد كله ، وفي مقدمة أهله تلاميذه يرحمون عليه ، لأنه غرس فيهم روح الجد والعلم .

لقد استمتعت بهذا الكتاب ساعات ، لا يعدلها شيء من متع الحياة .. ولولا خوفا من الاطالة لأتيت على كل دقائقه في حياة هذا الرجل النادرة ●

عبد الفتاح أبو مدين - جدة

« وتهدج صوت الطبيب الكبير » .

وسأل الطبيب الشيخ : « لا أظنك يا أستاذي تذكرني ، أما أنا فلم أنسك يوما ، أنا واحد من ابنائك ... تلاميذك في « بني سويف » .

ومضى الطبيب يقول : « أنا أعلم أن مواكب التلاميذ بالئات ، بل بالألوف ، قد مروا بك ، يأخذون من علمك ، وليس من السهل أن تذكرهم ، وقد كبروا . أما هم ، فإن صورتك لن تبارح أذهانهم ، ولقد عشت أنا شخصا كل هذه السنين أنتظر لقاءك ، فأنت وراء كل خطوة ناجحة خطوتها في حياتي » . جلس الأب الشيخ والابن صامتين ، والطبيب يتحدث ، ويزداد صوته تأثرا وعمقا . ثم قال الطبيب : « اني احتفظ هنا في مكتبي بكراسة الإنشاء التي كتبت لي فيها بخط يدك الكريمة عبارة فرشت طريق عمري بالنور . ومد يده ، وأخرج الكراسة القديمة ، وقد جلدتها ، وقلب صفحاتها ، ثم مد بها الى الشيخ الذي تطلع الى خطه وكلماته في لهفة » .

ووجد ما كتبه بخطه الأحمر هذه الجملة :

« ليتك تصبح يا بني طبيبا إنسانا ، كذلك الرجل الذي صورته في موضوعك ، هذا أمني فيك ، هل تحققه ؟ »

والشيخ ربه مرات ، وقال : « كنت أظن أنني أضعت حياتي هدرًا » ورد الطبيب : « لقد صنعت حياة الآخرين ، لقد استطعت أن تبني البشر ، أنتم المعلمين .. الصناع الحقيقيون في مصانع الثقافة ، التي تنتج الأطباء والمهندسين والصحفيين والمحامين ، وكل الناجحين في الحياة ، أنتم الأساس . أنتم صنعتُم أبطالًا وزعماء ، وقادة ، تعيشون جنودا مجهولين لكن ثق أن فضلكم في قلوب أبنائكم » .

ودمعت عينا الشيخ ، وتمتم قائلا : « لقد عشت عمري كله معلما من أجل هذه اللحظة .. ان البعض يظن ، أن المرتب الذي يتقاضاه المعلم هو مكافأته عن عمله . لا .. ان مكافأته لحظة كهذه ، يتوج فيها عمله ، يتوج فيها عمره » .

# أخبار الكتب

- \* كتاب جديد عن «طه حسين في الضحى من شبابه ١٩٠٨ - ١٩١٣» صدر للأستاذ عبد العليم القباني في سلسلة «المكتبة الثقافية» التي تنشرها الهيئة المصرية .
- \* ويصدر قريباً كتاب عن طه حسين بقلم أرملة السيدة سوزان . والكتاب يسجل الخطوات الرائدة للدكتور طه حسين في عالم الفكر والأدب وحياته الخاصة .
- \* ومن كتب السير التي نشرت أخيراً كتاب «يعقوب بن الليث الصغار» تأليف الدكتور إبراهيم باستاني باويزي وقد ترجمه عن الفارسية الدكتور محمد فتحي يوسف الرئيس ونشرته دار الرائد العربي ، وكتاب «شخصيات تاريخية من سقراط إلى راسبوتين» للأستاذ علي أدهم ونشر دار القدس ببيروت ، و«أبو بكر الزبيدي الأندلسي وآثاره في النحو واللغة» للأستاذ نعمة رحيم الغزاوي ونشر مطبعة الآداب بالنجف .
- \* يصدر قريباً للبحثة الأستاذ اميل تولى كتاب جديد عنوانه «الشخصية : توجيهاتها وحاجاتها في نظرية أريش فروم» .
- \* «المحرر الدبلوماسي» عنوان كتاب جديد من كتب الصحافة العملية ألفه الأستاذ حمدي فؤاد المحرر الدبلوماسي لجريدة الأهرام وتوزعه الجريدة .
- \* تواصل الدار التونسية للنشر إصدار كتاب «تفسير التحرير والتنوير» الذي ألفه سماحة العلامة الراحل الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور مفسراً فيه آيات الذكر الحكيم . وقد صدر من الكتاب اثنا عشر جزءاً ، وهو يقع في ثلاثين جزءاً تصدر بقتها تباعاً .
- \* «أثر القرآن في الأدب العربي في القرن الأول الهجري» عنوان كتاب جديد للدكتورة ابتسام مرهون ونشر جامعة بغداد .
- \* ترجم الدكتور بدیع محمد جمعة كتاب «منطق الطير» لفريد الدين العطار النيسابوري وراجع الترجمة على أصلها الفارسي الدكتور عبد النعيم محمد حسنين ، ونشرت الكتاب دار الرائد العربي .
- \* صدر الجزء الأول من «فهرست مخطوطات مكتبة حسن حسني عبد الوهاب» من تصنيف الأستاذ عبد الحفيظ منصور ونشر المعهد القومي للآثار في تونس . وما يذكر أن مكتبة العلامة حسني عبد الوهاب من أغنى المكتبات الخاصة بالمخطوطات الثمينة ، وهذا الفهرس يكشف عن بعض ما تحتوي عليه من النفائس والنوادر .
- \* ديوانان جديداً صدر أخيراً هما «مقاطع من قصيدة الحياة اليومية» للأستاذ كاظم نعمه ، و«الشجرة الشرقية» للأستاذ فاضل الغزاوي . ونشرت الديوانين وزارة الاعلام العراقية .
- \* «استقرار المصطلح» عنوان دراسة صدرت في فصلة مستقلة ضمن مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق . وتعالج هذه الدراسة مشكلة تذبذب المصطلحات وانسحاب المصطلح الواحد على أكثر من معنى محدد ، مما تضيق معه الدقة العلمية المطلوبة . ويستهدف البحث توحيد المصطلحات وتثبيتها بحيث لا ينصرف مصطلح إلا إلى معنى واحد لا يجاوزه فيسهل على الباحث متابعة موضوعه بوضوح وتحديد كاملين .
- \* مسرحية «الحياة حلم» للأديب الإسباني كالدرون دي لباركا ترجمت إلى العربية بقلم الدكتور صلاح فضل وراجعها الدكتور محمود علي مكّي ونشرت في الكويت .
- \* رواية عنوانها «سوق الكلاب» صدرت عن دار الكتاب العربي في سوسة للأديب الأستاذ مجي الدين بن خليفة .
- \* قرر اتحاد الكتاب العرب في دمشق إصدار مجلة جديدة عنوانها «مجلة التراث العربي» يرأس تحريرها الأستاذ عبد المعين الملوحي .
- \* تصدر قريباً دراسة عن الشاعر الراحل صالح جودت أعدها زميله في رحلة الشعر والحياة الدكتور مختار الوكيل . كما يصدر الأستاذ عامر محمد بعيري كتاباً عن العلامة الراحل الدكتور زكي مبارك .
- \* قصة «الباحث عن الحقيقة» التي كتبها الأديب الراحل محمد عبد الحليم عبدالله صدرت لها ترجمة بالفارسية من قلم الأستاذ حسن فرمزي .
- \* نشر في تونس كتاب «مجالس العرفان» في جزئين لفصيلة الشيخ محمد العزيز جعيط وفيه بحوث ودراسات دينية وأخلاقية .
- \* آثار الأديب الفلسطيني الراحل محمد أسعاف النشاشيبي جمعها الأديب الدكتور كامل السوافيري في سفر ضخمة مجلد .
- \* دراسة عن الشاعر السعودي الكبير الأستاذ حسن عبدالله القرشي وضعها الدكتور عبد العزيز الدسوقي .
- \* أعد الدكتور يوسف أسعد داغر للنشر كتاباً كبيراً عنوانه «المؤلفون اللبنانيون باللغة الفرنسية» يقع في نحو ٢٠٠ صفحة وتدرج فيه أسماء أكثر من ثلاثة آلاف أديب من أدباء لبنان الذين كتبوا باللغة الفرنسية .
- \* دراسة جامعية كبيرة عن الشاعر بدر شاكر السياب يعدها الأديب الفلسطيني الأستاذ أحمد السوافيري .
- \* تعكف كريمة الأديبة الراحلة فله فهمي بدوي على تنضيد آثارها المنشورة وغير المنشورة . ومنها كتاب كبير عن جورج برنارد شو ورسائل متبادلة بين الأديبة والكاتب الإيرلندي الساحر ، ومنها أقاصيص مترجمة ، ومنها فصول في التربية والأخلاق نشرت في سنوات طويلة في مجلة الطالبة المحتجة .
- \* صدرت للشيخ محمد المجذوب مؤلفات عديدة في الصيغ المنصرم منها ما كان في طبعته الأولى ومنها ما كان في طبعته الخامسة وفيها : علماء ومفكرون عرفتهم ، بطل من الصعيد وقصص أخرى ، المخطوفون وقصص أخرى ، كلمات من القلب ، مشكلات الجيل في ضوء الإسلام ، درس من الوحي ، بطل إلى النار وقصص أخرى ، قصتان من الماضي ، القصص الأربع للشباب والطلاب ، من تاريخنا ومشاهد من حياة الصديق .
- \* حقق الأستاذان محمود الطناحي والدكتور عبد الفتاح الحلو الجزء العاشر من كتاب «طبقات الشافعية» للحافظ السبكي ، وبه اختتم الكتاب الذي نشرته دار إحياء الكتب العربية . وما يذكر أن الأستاذ عبدالله أحمد قد حقق كتاب «طبقات الشافعية» لجمال الدين عبد الرحيم الأسنوي في جزئين ونشر بمقدمة للأستاذ نافع قاسم عن مطبعة الإرشاد في بغداد .
- \* بعد انقضاء أكثر من ألف سنة على وفاة المتنبي صدر عنه أخيراً كتابان كبيران ، هما الطبعة الثانية من كتاب «فن المتنبي» بعد ألف عام «لشاعر البحرين الأستاذ إبراهيم العريض» وقد نشره في الكويت ، وكتاب «المثال والتحول في شعر المتنبي» تأليف الدكتور جلال الخياط ونشر لجنة مهرجان المتنبي ببغداد .



# القَصْرُ الْيَسِيمُ

للشاعر: عبد الرزاق الهلالي

تشكو الزمان وتبدو حانقا غريبا  
وخلفوني بها أشكو الضنى ، غربا  
نور له وهج ، واليوم فيها غبا  
عن البطولة مهتزا لها طربا  
كانوا ذوابة قومي ، سادة نجبا  
من العدالة ، ما ردّوا لها طلبا  
هذي الديار التي كانت تعج ، غبا

له المقادير بابا ، أورث العظبا  
فأشعلوها حروبا تصطي ، غبا  
والشعب مما جرى قد صاح : واحربا  
يدمي القلوب ، وأمسى الحكم مضطربا  
للائظام ، فنالت منهم الأربا  
مختلفين كسرات العرب ، متعبا  
أشكو الخراب وأشكو المسمّ والوببا  
الى العروبة ، ما أحلاه متعبا  
ما قد بنى فوق صدي (١) قادة غربا  
أبقت عليّ ، لأروي قهوة عجببا  
شئ وقد زحموا ميداني الرحبا  
وعقله بمنون العرب قد خلبا  
ما زال حينا برغم الدهر منتعبا  
بفتنهم فاستعالت متعلبا صخببا  
كتابة محمد الله الذي وهبا  
نعم المعين اذا ما ضارب غربا  
أم انني بست مسرورا بها طربا ؟  
أعني لتحقيقه كي أعلم العربا

سمعت منك كلاما ، فضة ذهببا  
ان المصائب قد بقي لنا سبببا  
من بعد ما كنت في ملقائك مكتببا  
ودم الى العرب والاسلام منتعببا

عبد الرزاق الهلالي - بغداد

يا قصر ما لي أراك اليوم مكتببا  
تقول : هذي ربوع غاب أهلها  
بالأمس كانت مقاصيري بشع بها  
وكننت أسمع فيها كل ملحمة  
حولتي ملوك وأبطال ججاجحة  
قد شيدوا الملك مزهوا على أس  
وقد أناروا بشمس العلم ساطعة

لكنما الدهر غدار ، فان فتحت  
كذلك قومي ، لما ثار ثائرم  
تفركوا فعدت أوطانهم بددا  
واذ هم في عظام بات جاحمه  
تجمعت أمة الاسبان فانحدرت  
حتى اذا ما جلوا عن أرض أندلس  
بقيت وحدي (يبيما) بعد ما رحلوا  
لكنني ما أزال الدهر متعببا  
فان بقيت على كره يؤزقني  
فانني قد شعرت اليوم أن بدبا  
فقد تكالر زوّاري ، وهم أمم  
وراح كلّ ، قيل لماغرا فمه  
يقول : حقا أرى فتنا له أس  
هذي المقاصير والقاعات قد زعرت  
تبدو عليها من الآيات واضحة  
تقول (لا غالب الاه) فهو لنا  
فهل ترواني بعد اليوم ذا حنق  
من أجل هذا سألني الدهر ذا هدف

فقلت يا أيها القصر العظيم لقد  
اذ زدني اليوم إيمانا بلفظة  
لذلك قد صرت مسرورا ومتهجبا  
فأقبل رعتك يد الرحمن معترسي

# دور الأرقام في الحضارة العربية الإسلامية

بقلم: الدكتور علي عبدالله الدفّاع

الأعداد العربية أيضا في عام ٨٧٦ ميلادية أي بعد سنتين من ظهور الكتاب العربي . وأضاف الدكتور « بشير التركي » المدير المسئول عن تحرير مجلة العلم في مقالة بعنوان « الأرقام العربية » : وقع البيان في أن الأرقام المستعملة اليوم في العالم أجمع سواء كانت ١/٢/٣/٤/٥

الساميون يستعملون الحروف الهجائية فنونوا الأرقام بالأحرف الأبجدية . كذلك في القرن الأول الهجري كان بعض علماء المسلمين يستعملون الحروف الهجائية في كتابة مؤلفاتهم فوضعوا لكل حرف رقما خاصا يدل عليه كما يظهر في الجدول الآتي :

١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	٢٠	٣٠	٤٠	٥٠	٦٠
ب	ج	د	هـ	و	ز	ح	ط	ي	ك	ل	م	ن	س	
٧٠	٨٠	٩٠	١٠٠	٢٠٠	٣٠٠	٤٠٠	٥٠٠	٦٠٠	٧٠٠	٨٠٠	٩٠٠	١٠٠٠		
ع	ف	ص	ق	ر	ش	ت	ث	خ	ذ	ض	ظ	غ		

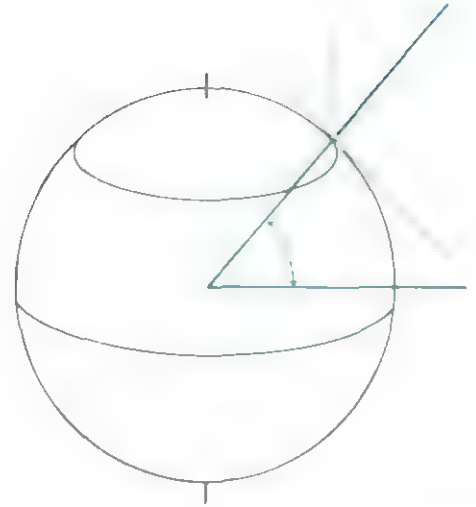
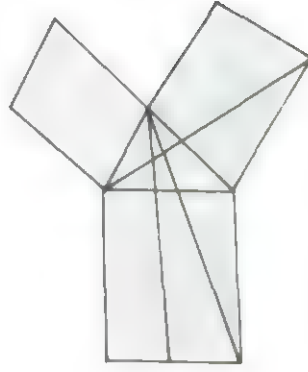
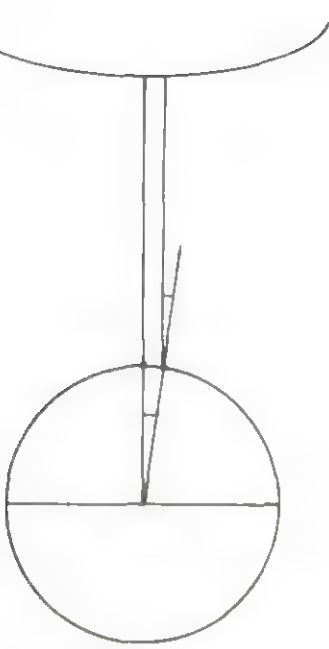
١,2,3,4,5,6,7,8,9,0 أو كانت ١٠/٩/٨/٧/٦ هي كلها عربية الأصل ، فكتابة الأرقام والتكلم بها يشكل عنصرا مهما في حضارة أمتنا العربية الإسلامية . ولو افترضنا جدالا أن الهنود هم المكتشفون للأعداد العربية فإن المسلمين هم الذين استخدموها في عملياتهم الحسابية ، وهم الذين بدأوا في نشرها في جميع أنحاء العالم بحكم تجارتهم . ويقول الدكتور « كارل بوير » في كتابه « تاريخ الرياضيات » إنه بدون اكتشاف العرب للأعداد العربية كان من الممكن أن تكون الرياضيات الآن في مهدها ، ولكن بواسطتها استطاع الانسان أن يخترع ويستنبط ، ويتعرف الى كثير من معالم الطبيعة وأسرارها . وقال المؤلف « دونالد ميرك » في كتابه « الرياضيات لطلبة العلوم الاجتماعية » ان الأعداد العربية التي تستعمل الآن في جميع أنحاء المعمورة لها

فالأعداد التي تزيد على الألف ٢٠٠٠ = بنغ ٣٠٠٠ = جغ ، ١٠٠١ = اغ . كما يلاحظ أن يا = ١١ ، سو = ٦٦ ، خلط = ٦٣٩ ، صح = ٩٨ . وهذه الطريقة استمرت مدة طويلة حتى ابتكر المسلمون الأعداد الغبارية والخوارزمية التي ما زالت تستعمل الى اليوم . والأعداد الشائع استعمالها اليوم في جميع أنحاء المعمورة هي الأعداد الغبارية العربية ، ولو أن نفرا قليلا من علماء الغرب يدعون خطأ أنها هندية الأصل . ولقد شهد بعكس ذلك أكبرهم وهو المؤلف المشهور « رام لندو » في مقالته بعنوان « مآثر العرب في علمي الرياضيات والفلك » في مجلة العالم العربي أن أول كتاب كتب واستعملت فيه هذه الأعداد كان عام ٨٧٤ ميلادية وطبع في البلاد الإسلامية ، وظهر كتاب مشابه له في الهند واستعملت فيه هذه

غابر الأزمان كان الانسان لا يعرف الأعداد الحسابية ، وكل ما كان يستطيعه هو تقدير الكمية بقليل أو كثير . فقد كان لا يفرق بين الثلاثين ، والثلاثة ، والأربعين ، والأربعة ، والخمسين ، والخمسة .. الخ .. وغاية الأعداد التي كان يعرفها هي واحد واثنان ثم كثير . ولا شك انه لا يمكن لأي حضارة أن تتقدم دون علم الأعداد . ولم تبدأ أوروبا باستعمال الأعداد العربية الا في القرن الثالث عشر الميلادي لتعصبها ضد التأثير الاسلامي رغم رداءة الأرقام الرومانية التي كانت تستعملها قبل ذلك . وقد قال أستاذ الرياضيات في كلية « يبيدي » الدكتور « هيرستن بانكس » في كتابه « الرياضيات الحديثة » انه باستطاعة الانسان استعمال الأعداد الرومانية في حالة جمع الأعداد ولكن عندما يحاول اجراء عمليات الضرب والقسمة تظهر مميزات الأعداد العربية التي توفر الوقت والمادة والعملية الحسابية المضبوطة .

هذا وقد نجح العلماء العرب والمسلمون في ابتكار نظامين لكتابة الأرقام هما : نظام الأرقام الغبارية : وقد جاء هذا الاسم بسبب كتابتها على منضدة أو لوحة من الرمل عند اجراء العمليات الحسابية وهي المنتشرة في المغرب العربي بما في ذلك الأندلس ومنها دخلت الى أوروبا وسميت بالأرقام العربية . والنظام الثاني هو المسمى بالأرقام الهوائية أو النظام الخوارزمي في الأقطار الاسلامية والعربية والمشرقية . وهذا يتفق مع تسمية النظام الخوارزمي ، أما الهوائي فالمقصود منه العد في الذهن ، وكما جاء عنه في المصادر العربية انه علم يتعرف منه كيفية حساب الأحوال العظيمة في الخيال دون كتابة ، واليوم تستعمل معظم شعوب العالم الأرقام الغبارية « 1,2,3,4,5,6,7,8,9,0 » .





ميزات ثلاث :

- سهولة استعمالها وجمالها .
- سهولة فهمها .
- طابعها المنطقي الذي تمتاز به على الأعداد الرومانية .

**ولقد** قسم المسلمون الأعداد العربية الى قسمين رئيسيين هما زوجي وفردى.

وعرفوا كلا منهما . فالعدد الزوجي هو العدد الذي يقبل القسمة على (٢) ويكتب على الصيغة (٢ن) حيث ن عدد صحيح . ولم يقف العرب عند هذا الحد بل زاد اهتمامهم بتطوير علم الأعداد حتى قسموا العدد أيضا الى ثلاثة أقسام تاما أو زائدا أو ناقصا . وبينوا معنى كل منها على حدة . فالعدد التام هو العدد الذي يساوي مجموع قواسمه . فمثلا ٦ عدد تام لأن مجموع قواسمه  $1 + 2 + 3 = 6$  . أما العدد الزائد فهو العدد الذي يكون مجموع قواسمه أكبر منه . فمثلا ١٢ عدد زائد لأن مجموع قواسمه  $1 + 2 + 3 + 4 + 6 = 16$  . وأخيرا العدد الناقص وهو العدد الذي مجموع قواسمه أقل منه . فمثلا ٨ مجموع قواسمه  $1 + 2 + 4 = 7$  . كما اهتم العرب بتطوير الأعداد المتحابية . وعرفوا العددين المتحابين بحيث يكون مجموع عوامل العدد الأول يساوي العدد الثاني . ومجموع عوامل الثاني يساوي العدد الأول . فمثلا (٢٢٠ . ٢٨٤) هما عددان متحابان لأن قواسم  $220 = 1 + 2 + 4 + 5 + 10 + 11 + 22 + 44 + 55 +$

أن تبعد عن استخدام الأرقام العربية بصفرها حتى فرضت هذه نفسها لتفوقها الكبير على كل الأرقام الأخرى . غير أن أوروبا لم تجد بدا من استيراد الأرقام العربية من المسلمين عبر البلدان الأوروبية الاسلامية مثل الأندلس وصقلية.

أطلق الهنود على الصفر اسم «صونيا» ويعنون بهذا مكانا أبيض فارغا ، والابطاليون أسما الصفر «زينوروا» وكذلك الفرنسيون أسموه «تريبارتي» وتوجد له أسماء عديدة في مختلف اللغات ولكن كلها تعني المعنى الذي أعطي للصفر باللغة العربية بواسطة علماء المسلمين. وأخيرا سيطر اللفظ العربي نفسه على الألفاظ الأخرى في جميع لغات العالم .

وقبل ابتكار الصفر كان العرب يستعملون اللوحة لكي يحفظوا للأرقام خاناتها الحقيقية ، وهذه اللوحة يمكن توضيحها بالرسم التالي :

	٢		٣
٤		٦	
	١		

فمثلا العدد ٢٠٣ يكتب كما هو مبين في السطر الأول من الرسم ، والعدد ٤٠٢٠ يكتب كما في السطر الثاني، والعدد ١٠٠ في السطر الأخير. ولكن هذه الطريقة كانت شاقة ومتعبة وتستغرق وقتا طويلا ولذلك فقد اندثرت بعد ابتكار الصفر. وعندما اكتشف المسلمون الصفر عبروا عنه بدائرة ومركزها نقطة . ففي المشرق ، ونعني بذلك

$110 = 284$  وقواسم  $284 = 1 + 2 + 4 + 71 + 142 = 220$  . كما بحثوا في النسبة والمتواليات وقسموها الى ثلاثة أنواع :

- المتواليات العددية .
- المتواليات الهندسية .
- المتواليات التوافقية التي استعملوها في استخراج الألحان والأنغام .

## ابتكار الصفر

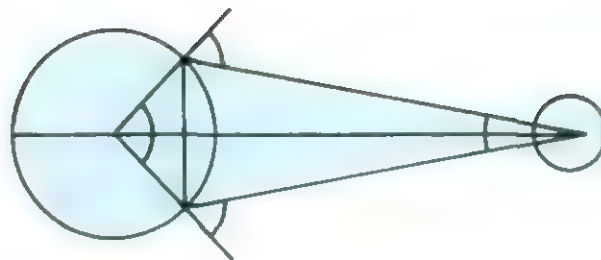
ابتكر المسلمون مفهوم الصفر الذي سهل العمليات الحسابية تسهلا لا حدود له ، وعرفوه بأنه المكان الخالي من أي شيء... ولكن هذا المفهوم يعني في الحقيقة الشيء الكثير . فمثلا الفرق بين أربعة وأربعين هو الصفر . ويعتبر الرياضيون الصفر أعظم اختراع وصلت اليه البشرية ، وفعلا فانه يستحيل دون الصفر وجود الكمية الموجبة والكمية السالبة في علم الكهرباء ، والموجب والسالب في علم الجبر . والذي يؤكد أن المسلمين هم الذين ابتكروا الصفر هو استعمالهم له أول مرة في عام ٨٧٣ ميلادية بينما لم يستعمله الهنادي الا في عام ٨٧٩ م . وبدون الصفر يصعب الوصول الى نظريات الأعداد التي يعتمد عليها اعتمادا كبيرا في الرياضة المعاصرة مثل استخدام العمليات الحسابية بواسطة الخط المستقيم . والجدير بالذكر أن أوروبا ظلت تتردد طيلة ٢٥٠ سنة قبل أن تقبل مفهوم الصفر رغم فوائده الجمة ، واستمرت في استعمالها الأعداد الرومانية البالية في القرن الثاني عشر حيث حاولت بكل جهدها



البيروني



الخوارزمي



صورته العربية المعروفة حتى الآن . وهي الصورة التي لا تبعد كثيرا عن صورة الخط النبطي التي كانت يومئذ هي نفس صورة الأرقام الغبارية تماما . وقد تبين ذلك مؤخرا من خلال نقش للخط النبطي اكتشفه العالم الأثري الفرنسي «رينيه دوسو» المتوفى سنة ١٩٥٨ ميلادية ، خلال عمليات التنقيب التي أجراها في رأس شعرا بجنوب سوريا وعثر عليه في بلدة «المناردة» بحوران . ويرجع تاريخ هذا النقش الى سنة ٣٢٨ ميلادية ، وفيه ذكر امرؤ القيس .

والجدير بالذكر أن العرب اختاروا النقطة لتعبر عن الصفر لأن النقطة ذات أهمية كبيرة في الكتابة العربية ، ويعتبرها العرب المميز والضابط بين الحروف . فعلى سبيل المثال اذا وضعت النقطة فوق الحرف (ب) قرىء نونا . واذا كانت النقطة أسفل الحرف قرىء باء . واذا كانت نقطتان فوقه قرىء تاء . واذا كانت النقطتان في أسفل الحرف قرىء ياء وهلم جرا . من هذا المنطلق استعمل العرب النقطة لتعبر عن الصفر مع الأعداد العربية فأعطوها الوظيفة التي لها مع حروف الضبط والتمييز فمثلا الرقم (١) اذا وضع الى يمينه نقطة أصبح عشرة أو الرقم الخمسة اذا وضعت الى يمينه نقطتان صارخمسائة . وهكذا يتضح من هذا أن العرب ابتكروا الصفر واستعملوه في عملياتهم الحسابية وكتابتهم اللغوية ●

إيجاد قيمة « ط » بهذه الطريقة المتناهية . كما أن المسلمين استعملوا الكسر العشري في عملياتهم الحسابية وأوصلوها الى الأندلس في نفس القرن الذي وصلت فيه الأعداد العربية بصفرها الى أوروبا عن طريق «ليونارد فيبوناتسي» الايطالي الجنسية الذي عاش في الفترة ما بين ١٢٢٥ - ١٢٧٠ ميلادية ، والذي أخذ علم الرياضيات عن علماء المسلمين المشهورين حيث ان والده كان من التجار الايطاليين الذين كانوا يتعاطون مع المسلمين التجارة . وهناك كثيرون من مؤرخي علم الرياضيات يعتبرون خطأ أن «فيبوناتسي» هذا هو الذي أنقذ أوروبا باستعمالها الأعداد العربية بصفرها .

### الحساب

ومن المؤسف حقا أن الكثير من المؤرخين العرب والمسلمين يقومون في الخطأ الكبير عندما يسمون الأعداد العربية بالهندية مما أدخل الشك في نفوس كثير من الشباب المتعلم في البلاد العربية والاسلامية وأعطى الفرصة لعلماء الغرب الذين انتهزوا وتبنوا هذا الاسم الخطأ . وقد نشر الكاتب المعاصر «عبد الرحمن عبد اللطيف» مقالة في مجلة العلم بعنوان «الأرقام العربية» ساعدت بالفعل على ازالة هذا الشك الخطير ، وما قاله في هذا الصدد : ان الأرقام الغبارية ابتكرها العرب منذ أول عهدهم بتعلم الكتابة العربية وذلك قبل البعثة المحمدية فيما بين منتصف القرن الثالث الميلادي ونهاية القرن السادس الميلادي ، وهو الوقت الذي تم فيه أيضا تحول الخط العربي من صورته النبطية البحتة الى

مصر وما فيها شرقها من بلاد المسلمين ، احتفظ المسلمون بالنقطة «مركز الدائرة» واستعملوها مع أعدادهم فكانت ١/٢/٣/٤/٥/٦/٧/٨/٩/٠ أما في المغرب وتشمل كل البلاد الاسلامية غرب مصر بما فيها الأندلس فقد احتفظوا بالدائرة دون مركزها فكانت أعدادهم كالآتي :

١,2,3,4,5,6,7,8,9,0 ولقد قال الأستاذ توفيق الطويل في كتابه «العرب والأعداد» ان الدائرة ومركزها هما من ابتكار المسلمين بحيث أصبح العالم الآن لا يمكنه الاستغناء عن الصفر .

لما أن للصفر مميزات عديدة ومن أهمها اكتشاف الكسر العشري الذي له الفضل الكبير في اختراع الحاسبات الالكترونية (Computer) . فعلى سبيل المثال اعترف المؤرخ الألماني «لوكي» المشهور في تاريخ الرياضيات بوجود نسب اختراع الكسور العشرية الى العالم الرياضي المسلم الشهير «جشميد بن محمود غياث الدين الكاشي» الذي توفي عام ١٤٣٦م . وهو رياضي وفلكي ، ومن كتبه «مفتاح الحساب» و«الرسالة المحيطية» . ولقد ادعى الغربيون تعصبا أن «ستيفن» هو مبتكر الكسر العشري ، رغم أنهم يعرفون أن «ستيفن» أتى بعد «الكاشي» بقرابة ١٧٥ سنة . كما ورد أيضا في «الرسالة المحيطية» للكاشي ، النسبة التقريبية بين محيط الدائرة وقطرها التي يرمز اليها اليوم بالحرف « ط » وقد أعطى قيمة « ط » صحيحة لستة عشر رقما عشريا كالآتي :  $٣١٤١٥٩٢٦٥ = ط$  ولم يسبقه أحد من العلماء في



# الشباب يعيش عصر

وفي تقرير لمؤسسة «أمباسادور كولج» عن ظاهرة الضياع والملل والخيبة التي أصابت الشباب فأدت به إلى الانحراف والغرق في شهواته التي أفقدته طاقاته وقدراته وامتيازاته البشرية قالت المؤسسة :

« ان الشباب باعتقاده في « حرية الجنس » يعيش حياة يزاول فيها كل أنواع الجنس وأشكاله ، فلا غرابة أن تنتشر بينهم الأمراض المعدية بنسب كبيرة تصل أحيانا كثيرة إلى درجة الوباء .

ثم ذهبت المؤسسة تشرح أسباب هذا « المسخ البشري » كما سمته وتغني فريسق « الهيبين » الذي تقلده غالبية الشباب في العالم فذكرت ما يلي :

.. الأطفال يرون في مجتمعهم وبين آبائهم وأمهاتهم وأقربائهم سلوكا ذا وجهين حيث الكذب والنفاق والتناقض ، وحيث تعتبر السرقة منهج حياة كما يكون الغش طريق النجاح ، والمصلحة الذاتية هي الغاية لكل متعلم وكل عامل . وحيث الكنائس لا يزيد عن كونها مباني أشبه بالخرائب لخلوها من القوى الروحية الحقيقية .

.. ثم هؤلاء الأطفال ينشأون في أسر مفككة ، أو في بيوت شقية يغيب فيها الحب المتبادل بين الأبوين ، أو في بيوت خاوية على عروشها ، لأن الأم أو الأب كلاهما يعملان ساعات طويلة خارج البيت ، فلا يجد الأولاد من يحدثهم ولا من يوجههم ، أو يلومهم إذا أخطأوا ، ويشني عليهم إذا أحسنوا .

الإيمان بمنافع العلم الدنيوية والأخروية في نفوس الشباب - وإيجاد القدوة الحسنة علما وعملا وسلوكا من أشخاص المدرسين والموجهين للشباب - إلى جانب شغل عقولهم بفكرة أو دعوة تمنعهم عن تقبل الأفكار والدعوات الوافدة المعاكسة للإسلام فكرة ودعوة وعملا - ثم إقامة نظام اجتماعي يعيش فيه الشباب حياة اجتماعية إسلامية .

وبالنسبة للشباب العربي - في منطقة الشرق الأوسط - قال بعض الخطباء العرب : إن شبابنا ، كي يواجه التحديات الدخيلة ، لا بد له من التزود بالخبرات العلمية والفنية : قلت ردا على قوله : ان الشباب العربي في مواجهة هذه التحديات لا يحتاج إلى علوم وخبرات وفنون ، فهو يعيش في عصرها الذهبي ، ثم هو - أيضا - يتلقى دراسته وتجاربه فيها داخل بلاده وخارجها دون انقطاع .

الشباب العربي والإسلامي ، في المنطقة العربية وغيرها ، محتاج احتياجا شديدا وعميقا وشاملا إلى تربية سلوكية تنمي فيه الرجولة والارادة والأخلاق .. هذا الثالث التربوي العملي الذي يفتقده الشباب ، وهو سلاحه الباتر وزاده الوافر في معركته مع هذه التحديات ..

ذلك لأن نظرية « العلم لأجل العلم » هي التي جردت الغرب حين آمن بها وطبقها في جامعاته ومؤسساته العلمية والتقنية - جردت شبابه ورجاله من الخلق الإنساني ، ومن الإيمان بالمثل والمبادئ والغايات التي ميز الله بها الإنسان عن الحيوان .

بعض المفكرين الإسلاميين ، الدعاة إلى الإصلاح : أن الشباب ، من سوء حظه ، يعيش في عصر الأزمات والمشكلات ، عصر القلق النفسي ، والاضطراب الفكري ، وفقدان الثقة ، وحرص الفرد على أخذ حقوقه وإهماله لحقوق الآخرين . هذا إلى جانب استغلال طموحه وحماسه واندفاعه من قبل الغوغائيين واستخدامها لتحقيق أهدافهم وغاياتهم .

وقد أنتج ذلك بلبلة وفوضى في مراكز تجمعات الشباب كالجامعات والمعاهد والمعامل والمصانع ، فسادتها الفوضى وقلة الانتاج العلمي والصناعي ، بل اضطراب هذا الانتاج وقلة جدواه . ونشب الخلاف ، واشتد الصدام بين رجال التربية والتعليم وبين الطلاب من الشباب ، وبين الشباب من العمال والصناعيين وبين القائمين على المؤسسات التي يعملون بها ..

ويعتقد سماحة الأستاذ أبو الحسن الندوي ، المفكر والداعية الإسلامي المعروف ، ان قلق الشباب واضطراب سيرهم يرجعان إلى أمور عديدة : منها عدم إيمانهم بقيمة ما تعطيها الجامعات من ثقافة وعلم - وتشككهم في إخلاص موجهيهم ونزاهتهم وسموهم عن الأغراض الشخصية - ثم ضعف الصلة بين الطلاب ومدرسيهم . وافتقاد الشباب لرسالة ما .. يؤمنون بها . وينحسمون لها . ويعملون في سبيلها .

ولإصلاح هذا الوضع القلق المضطرب للشباب يقترح الأستاذ الندوي : اثارة شعور

بقلم: الأستاذ أحمد محمد جمال

# لازمات والمشكلات

## الباب ومفاتيح العصر

الطلاب ذكورا وأنثا - يتلقون من مدرّس الفلسفة والأخلاق تقيض ما يدرسون على يد أستاذ الدين ، ويتعلمون العلوم عكس ما درسوه من كليهما . وبرامج الاذاعة والتلفاز ومقالات الصحف ، واعلاناتها التجارية وغيرها متناقضة متنافرة يفسد الخبيث منها الطيب ، ويهدم المفسد منها المصلح ، وتوقظ فتنا نائمة ، وتثير غرائز ساكنة ، ويكذب بعضها بعضا ، وينقض آخرها أولا . الأمر الذي يجعل الشباب في حيرة وقلق يتحولان قليلا قليلا الى رفض عنيف لمكارم الأخلاق ، ومبادئ الدين .

من أجل ذلك يركز كثير من رجال التربية والفكر والدعوة الاسلامية في كل ما تحدثوا أو كتبوا حول الشباب على مسألة « المثال الشخصي » الذي يقتضيه هؤلاء الشباب في « الكبار » وعلى مشكلة « التناقض » بين القول والفعل وبين النظرية والسلوك . ويشيرون الى أن التربية الاسلامية تعتمد أول ما تعتمد على « القدوة الطيبة » من الآباء والأمهات والمعلمين والمعلمات ، فالقرآن الكريم يؤكد مبادئ هذه التربية الناجحة في مثل هذه الآيات .

- « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة » .
- « يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ، كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون » .
- « أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون » .
- لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ..
- احمد محمد جمال - مكة المكرمة

وهناك من الدعاة الإسلاميين من يرى أن مشاعر الشباب المسلم تفتحت في هذا العصر على حياة مادية رهيبة ، حياة تقوم على النظام والتطاحن والتحلل ، حياة تلاحقه وتطارده فيها بواعث الفتنة والزدية : من أفلام تجارية تنافس في اثاره الغرائز الدنيا ، واشباع الزوات الرخيصة ، وكتب تتحدث عن قصص الجريمة التي تجعل من الحمل الوديع وحشا ضاريا ، وأغاني مبتذلة وألحان تدد الرجولة ، وتمجد الميوعة ، واعلانات تجارية تروج لسلمها بمنابر تتنافى مع مكارم الفضيلة والأخلاق . ورسائل تحطم القيم والمثل والفضائل . وتدعو الى الانحراف وكسر القيود الأخلاقية . ويرى هؤلاء الدعاة الاسلاميون : أن مكافحة هذا البلاء العقائدي والأخلاقي بين الشباب المسلم تتركز في افهامه حقيقة دينه ، واعطائه القدوة الحسنة من الكبار آباء وأمهات ومدرسين وموجهين ورجال حكم . لأن المواعظ وحدها لا تكفي .. كما لا تشفي التعاويذ والتماائم الأمراض البدنية . فكذلك انحرافات الشباب لا تقوم الا بازالة « التناقضات » من مجتمعاتهم وأسرهم ، ومدارسهم وجامعاتهم وأسواقهم ومتاجرهم .

وعلى ذكر المدارس - دنيا كانت أم عليا على مستوى الجامعة - يلاحظ رجال التربية الاسلاميون أن الطلاب يلتقون أشجاء من القيم وأخلاطا من الآراء المتناقضة ، من أساتذة متناقضين فكرا ومنهجيا وسلوكا ، فهم - أي

وتذكر الصغار وتنشأ الهوية الفكرية بين الكبار والصغار .. وبالتالي يبدأ شذوذ الصغار ونفورهم وعصيانهم الى جانب فساد الأسرة والمجتمع .. يعيش الأطفال كما يعيش كبارهم في خوف من حرب ذرية ، ومن سباق القضاء ، ومن نشوب حرب عالمية . ومن هنا ينشأ القلق في نفوسهم كما ينشأ اليأس من إيجاد حلول عاجلة أو آجلة للآزمات العالمية والزاعات الدولية ، واليأس أيضا من اكتشاف أدوية للأمراض المتزايدة .. أمراض القلب والسرطان .. ثم يكون رفضهم لهذا العالم العنيف المخيف !

## النفور والأعراض بين الشباب والسيوف

أما « كلود ألزون » في كتابه « محاولة لتفسير عدم النضج في أوساط الشباب » ، فيتهم الشباب المعاصر بالطفولة والعجز ، ويعلل رأيه : بأن مشكلات الشباب المعاصر ناتجة عن الهوية الحقيقية من عدم الفهم المتبادل بينه وبين عالم الكبار .

ولا شك أن « كلود ألزون » صادق في وجهة نظره هذه . فالشباب نافعون ، والكبار معززون أو متجاهلون ، وكان على هؤلاء الكبار من آباء وأمهات ومدرسين ومدرسات وموجهين اجتماعيين وموجهات ألا يقابلوا نفرة الشباب بنفرة مثلهما ، بل يقابلوها بمحاولات حانية عاطفة لترويضها وتهذيبها ، واقتناعها بالعودة الى الطريق الصحيح - ويقابلوها كذلك بالمسارعة الى حلول كافية شافية لمشكلات الشباب التعليمية والوظيفية والاجتماعية والنفسية .





# العبور العرير

## عبر التاريخ

تعد زراعة النباتات لصنع العطور متقدمة جدا في فرنسا . وأكثر الأزهار استخراجا لهذا الغرض هي ورود . ومن النباتات الغامضة الأخرى التي تشكل مصدرا للعطور والضيوب الياسمين واللافندر والبنفسج والزعر والأكاسيا وزهرة البرتقال والآس والنعناع وعدد كبير من أنواع الزهور الأخرى . وتتطلب عملية استخلاص العصور كميات كبيرة من الزهور . فمثلا نجد أن ٢٥٠ رطلا من الورد تنتج فقط أوقية واحدة من زيت العطري الذي يسمى « عطر الورد Attar of Roses » .

الاتجاه السائد اليوم في عالم التجميل هو العودة الى الطبيعة ، وهناك دعوة الى المرة بالذات تحضرها على العودة لاستخدام العطور والمساحيق المستخلصة من النباتات والأزهار الطبيعية ، واستخدام مساحيق

لأزهار على اليبسة قبل أن يوجد لإنسان زهر من ضويل . وفي أشكال مختلفة وحديثة . كما تحزن رحيقا ضيبا ذا رائحة عطرية عبقة . وقد منح الله هذا النوع من نبات تلك الخصائص وذلك لخدمة أغراض نوع النبات الذي تنمو عليه الزهرة حيث تحذب اليها الحشرات التي تنقل اللقاح من زهرة الى أخرى مما يؤمن الأخصاب ونمو البذرة .

أما عصر الأزهار فإنه يكون في صورة زيوت عطرية . هي أساس معظم العطور الطبيعية التي يستخدمها الاسد . ويستخرج بعضها من الأوراق أو الثمار وبعض من لسيقان وهكذا . ويجري استخراج العطر عادة بأحدى الطريقتين التاليتين :

١- التقطير Distillation . وهذه الطريقة تسير في وجهتين الأولى تؤخذ فيها الأزهار لغنيها ولثانية يمرر البخار عليها . وفي كلتا الحالتين . يحمل البخار الزيوت . ثم يكثف الى ماء . وعندئذ يصفى الزيت على السطح ويسهل فصله وتعالج عدة أنواع من الأزهار بهذه الطريقة .

٢- الاستخراج Extraction . وفي هذه الطريقة تتحلل الزيوت العطرية لبعض الأزهار أو تلتف بواسطة البخار حيث توضع في شحم مصهور ليمتص الزيوت . وتعامل الورد وزهور أخرى كثيرة على المنوال نفسه حيث تسمى النظرية Maceration . وبعض الزهور حساس الى درجة أن حرارة النظرية قد تتلفه مثل الياسمين . ولتحصول عليه تستخدم طريقة ابتكرت في فرنسا وتسمى « Enfleurage » أي تقع الأزهار . وفي هذه الطريقة توضع الأزهار بين طبقات من الشحم الحيواني النقي . ليستخرج العطر منها كما هي الحال في عملية النظرية . ولكن ذلك يتم ببطء أكثر . وتستخدم المذيبات الكيميائية لفصل الزيت عن الشحم حيث يكون شحم الناتج النهائي وهو الزيت المصنفي للأزهار .





حدوث التجاعيد ، كانت تصنع من مسحوق  
بيض النعام مضافا إليها بذور الخنطة . ومن بين  
الوصفات العديدة لإزالة قشرة الرأس هناك وصفة  
تحضر من دهن فرس النهر وريت السمك  
والشحم اللين .

استخدم الرجل والمرأة في الماضي  
العطور . وكانت العطور في ذلك  
الوقت بخلاف العطور الحديثة التي تركز على  
العطر الكحولي . كانت تصنع من الشحم  
الحيواني . أو لزيت المستخلصة من الخضراوات  
كالنحل والخس وزيت حبوب السمسم مطعمة  
بالعطور الطبيعية .

لقد أنتج صناع المراهم والعطور القدماء  
مجموعة من العطور المختلفة الرائحة من المنتجات  
الطبيعية التي ظلت حتى اخترع الروائح الصناعية .  
هي نفس العطور التي كان يستخدمها الأجداد  
ويستطيون رائحتها الزكية . وكانت تلك العطور  
تستخلص من أنواع عديدة من النباتات الطبيعية  
مثل المور ، وحوب اليانسون ، والياسمين ،  
والورد ، والنعناع ، والأكاسيا ، وزهور نبات  
رقيب الشمس . وجذور الشندر ، وعيدان  
القرصة ، وزهور الحمضيات ، وزهور خشب  
الصندل وغيرها من نباتات والأزهار المتعددة .



أحدهم في عمل لزيت العنبرية والمراهم كي  
تكون نوعا من أنواع لحماية ولوقاية في مثل هذه  
الأحواء . هذا وما يزل عناء الآثار حتى  
يوما هذا يعثرون بين حين وآخر على صفائح  
وقويزر عسرية . ويقال أن نقضا حدث في  
مستحضرات التجميل في عهد رمسيس الثالث  
كاد أن يؤدي إلى حدوث اضطراب بين العمال .  
كما قل أحد عناء الآثار أن العمال الذين  
كانوا يشتغلون في ساحة إحدى مقابر لأثرية  
قد توقفوا عن العمل بسبب عدم توفر المراهم  
لحمايتهم من الحرارة .

والأهم من ذلك . أنه كان يتوفر لدى  
السكان شرقيين بصورة فعيلة كل أنواع  
مستحضرات التجميل من مرهم ومشتت .  
ومستحضرات سائلة . ومساحيق ناعمة بها  
الآن حقائب التجميل الحديثة . ولكن مثل  
هذه المستحضرات ربما تكون قد صنعت من  
مواد تختلف قليلا عن مواد التي تصنع منها  
في وقت الحاضر . فهناك وصفاة لتصبية الوجه  
على سبيل المثال . تضمنن نوعا من الجلد وتمنع

التجميل المصنوعة من شمع النحل والعسل  
وبذور الخنطة . وإن ترطبت المرأة أنفاسها  
بالمستحضرات السائلة المستخلصة من ثمار  
الأفوكا . والورد .

إن العودة إلى الطبيعة من الأمور المحببة  
إلى النفس . ولكن الادعاء بأن استخدام  
مستحضرات التجميل المستخلصة من النباتات  
طبيعية أمر جديد في علم التجميل فهذا غير  
صحيح . وذلك - سكان شرق الأوسط كانوا  
وما زالوا يستخدمون المستحضرات الطبيعية . ولم  
يكونوا يستخدمون غيرها أبدا . فقد كانوا يصنعون  
مستحضرات التجميل . من زوايل . أو كانوا  
خلال فترة الحاضر تشر يشتجون أوعا من  
الدهون المركبة من عسل وشمع نحل  
وريت السمسم .

قد يكون سبب ميلاء مستحضرات التجميل  
في شرق الأوسط جمع إلى طبيعة الجو الذي  
يسود منطقة . حيث نبع أشعة الشمس الحارقة  
وريح صحراء حارقة دوار كبير في إحراق  
المصرر بشرة المرأة . ثم جاء وقت بدأ فيه





لم تكن الأدوات والمعدات الخاصة باستخلاص العطور من النباتات الطبيعية متوفرة لدى الانسان القديم . وكل ما كان متوفرا لديه لم يتعد الأواني المطبخية التي كان بواسطتها يستخلص العطور باتباعه طرقا شتى من بينها طريقة نقع الأزهار الآنفة الذكر . وقد تمكن الانسان القديم بهذه الطريقة من انتاج المراهم العطرية التي كانت تشكل جزءا من مستحضرات التجميل التقليدية التي تستخدمها المرأة الشرقية .

وفي الاحتفالات كانت النسوة يضعن كرات من المرمم العطري فوق رؤوسهن . ومثل هذه المراهم العطرية ما زالت هي الأفضل حتى يومنا هذا رغم الطرق الباهظة التكاليف المتبعة حاليا في تحضير مثل هذه المراهم العطرية .

وهناك طريقة أخرى لاستخلاص عطر الأزهار وذلك بغمس الأزهار والبذور والفاكهة في الزيت أو الشحم الحار . وفي عام ٢٧٠٠ قبل الميلاد طرأ تحسن على عملية استخلاص العطور ، يقوم على أساس تقنية استخلاص الزيوت . فقد كانت الأزهار تجمع ثم تلف بقطع من القماش تنتهي من الجانبين بعيدان من الخشب . وكانت هذه القطع تثني في اتجاهين

الأهداب وتكحيل الجفون هو من أجل حمايتها من الأمراض ، وهي عادة ما زالت شائعة حتى الآن في بعض مناطق الشرق الأوسط حيث كانت النسوة يطلين أهدابهن العليا بمسحوق كبريتيد الرصاص الأسود المعدني وأهدابهن السفلى باللون الأخضر مستخدمات في ذلك مسحوق «الملكيث» . ثم تحولن فيما بعد الى صيغ أهدابهن باللون الأسود مستخدمات في ذلك «الانثيمون» ، وهو مركب ما زال يستخدم حتى الآن في مستحضرات أصباغ العيون الحديثة . ومن جهة أخرى كان الأكاديون يطلقون على كبريتيد الرصاص الأسود الذي كانوا يستخدمونه في تجميل العيون كلمة «جهل - Gohl» والتي منها اشتقت الكلمة العربية لهذا النوع من طلاء العيون وهي «الكحل Kohl» .

كانت هناك أيضا المظاهر العقائدية المرتبطة بالتجميل . ففي الوقت الذي تستخدم فيه المرأة العصرية في وقتنا الحاضر مستحضرات التجميل بهدف التطيب والتجميل بشكل عام ، كانت المرأة قديما تعزو عمليات التجميل الى أسباب

معاكسين بحيث يتأتى من هذه العملية استخلاص الزيوت العطرية الموجودة في الزهور . وهناك على جدران أحد المعابد في سقارا بالقرب من القاهرة ، والتي يرجع تاريخها الى حوالي ٤٧٠٠ عام ، صورة لامرأة تجمع أزهار الزنبق ، وهي الزهرة المشهورة في مصر العليا ، وتستخلص منها الزيوت العطرية بالطريقة المذكورة .

ان أصباغ الجفون ، والأهداب والحواجب وأحمر الشفاهيف ومساحيق تجميل الوجه ترجع كلها الى الشرق الأوسط . فقد كانت نساء المصريين ونساء ما بين النهرين يصبغن شفاههن وخدودهن مستخدمات في ذلك قطعاً صغيرة من أكسيد الحديديك الأحمر يصنعنها في قصبه صغيرة مجوفة ، كما استخدمت نساء السومريين مسحوقاً لتجميل الوجه مصنوعاً من أكسيد الحديديك الأصفر وكان يطلق على هذا المسحوق اسم «الوهج الذهبي» وهو مسحوق يضاهي أفضل المساحيق الحديثة .

لقد كان الغرض في الأصل من صبغ





الأخرى التي اشتهرت في العالم العربي وكانت تحظى بشهرة واسعة ، عطر الآس ، والرجس ، والياسمين ، والنخشاش والعصفر .

وقد تعرفت أوروبا خلال الحروب الصليبية الى منتجات مستحضرات التجميل الشرقية . وتعلق فرسان الفرنجة بشكل كبير بأنواع اللبان العربية ذات النكهة الخاصة ، والعطور الدمشقية المنعشة . وأنواع الزيوت العطرة . وعطور الورود المختلفة القادمة من ايران . ورغم تضارب الأقوال في الدور الذي لعبته العطور بالنسبة للأزياء . فانها لا تزال تلقي رواجاً عاماً حتى أواخر عصر الملكة إليزابيث الأولى ملكة إنجلترا ، فقد جاء في إحدى الروايات التمثيلية التي كتبها « شكسبير » وتي كانت تمثل على المسارح البريطانية . جاء على لسان إحدى بطلات

الفترة الذهبية من العصر العباسي الذي استمر من عام ٧٧٥ الى ٨٤٧ كانت مساحات واسعة من الأرض تزرع بالزهور بهدف صناعة العطور ومستحضرات التجميل . وكانت صناعة العطور من الورود ، وزهر ترشق المائية . وأزهار البرتقال . والبنفسج وغيرها من الأزهار والنباتات العطرية . كانت مزدهرة في دمشق وبعض المدن الفارسية مثل شيراز و « جور » التي اشتهرت بعطر الورود الحمراء . وكانت العطور المستخلصة من هذه الورود تصدر الى شرق الصين . وغرب مراكش . كما حظيت العطور المستخلصة من الورود بشهرة واسعة . ومما ورد ذكره في هذا الصدد أن لحيفة المتوكل وهو تاسع خلفاء العباسيين كان يحب عطر الورد الى درجة كبيرة حتى انه استأثر لنفسه زراعة الورود . وكان يقول ان عطر الورد هو سيد لعطور . ومن العطور



وضرووات طبية . وعقائدية حتى ان إحدى الكلمات المصرية القديمة تعطر هي « أريج الآلهة » . وكانت تسميتهم لصفائح مستحضرات التجميل التي تستخدم في حصول على صبغ العين تعبير مراد عن تصفوس عينية . تلك التقاليد قد الدثرت تدريجياً دون أيما تأثير في طرق استخدام مستحضرات التجميل . وكانت في تلك الفترة قد أصبحت صناعة مستحضرات التجميل رائجة وخاصة في مدينة الاسكندرية التي كانت امراهم المنكية وعطور الياسمين تصنع منها تحظى بإقبال كبير من لدن سيدات البلاط الملكي في روما .

هذا ولم يقتصر استخدام عطور على أغراض التجميل فحسب بل امتد الى أغراض أخرى . فمثلاً كان روماء يصنعون قسرات من عطور في زيوت المصايح وفي ماء الشراب حتى ينسى لهم لاستمتاع الكمال بريحها العطر وفي تعلم عربي . لقيت مستحضرات التجميل الشهرة نفسها التي كانت تتمتع بها في العرب . فقد ورد ذكر عطور في عديد من الكتب القديمة التي كتبها عدد من مشاهير الكتاب العرب القدماء وكلها تحبذ العطور وتشيد برائحتها الذكية . وقيل عن عمر بن الخطاب . رضي الله عنه . انه قال : « لو كنت تاجراً ما اخترت غير الطيب » ان فاتني ربحه لم يفني ربحه .



م. ج. ح.  
س. م. ح.  
٣٠ . ٧٠ . ٣٠  
س. م. ح.  
وهي م. ح.  
وهي م. ح.

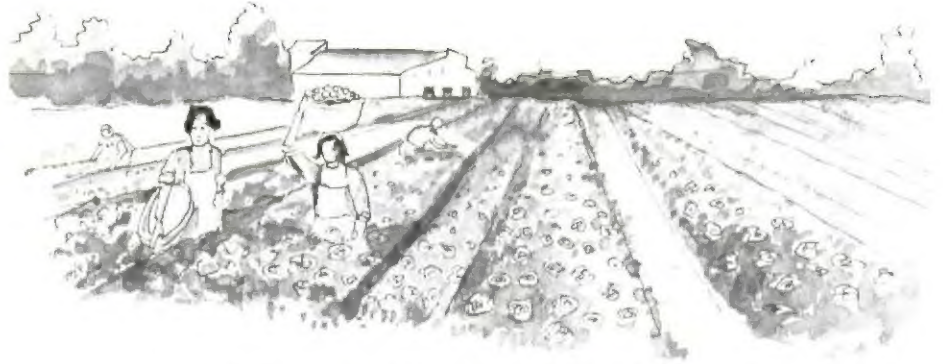
في حرفة يدوية  
وهي م. ح.  
صوبلا بعد قطعها

هذه المسرحيات ذكر للطور العربية المستوردة من الشرق الأوسط .

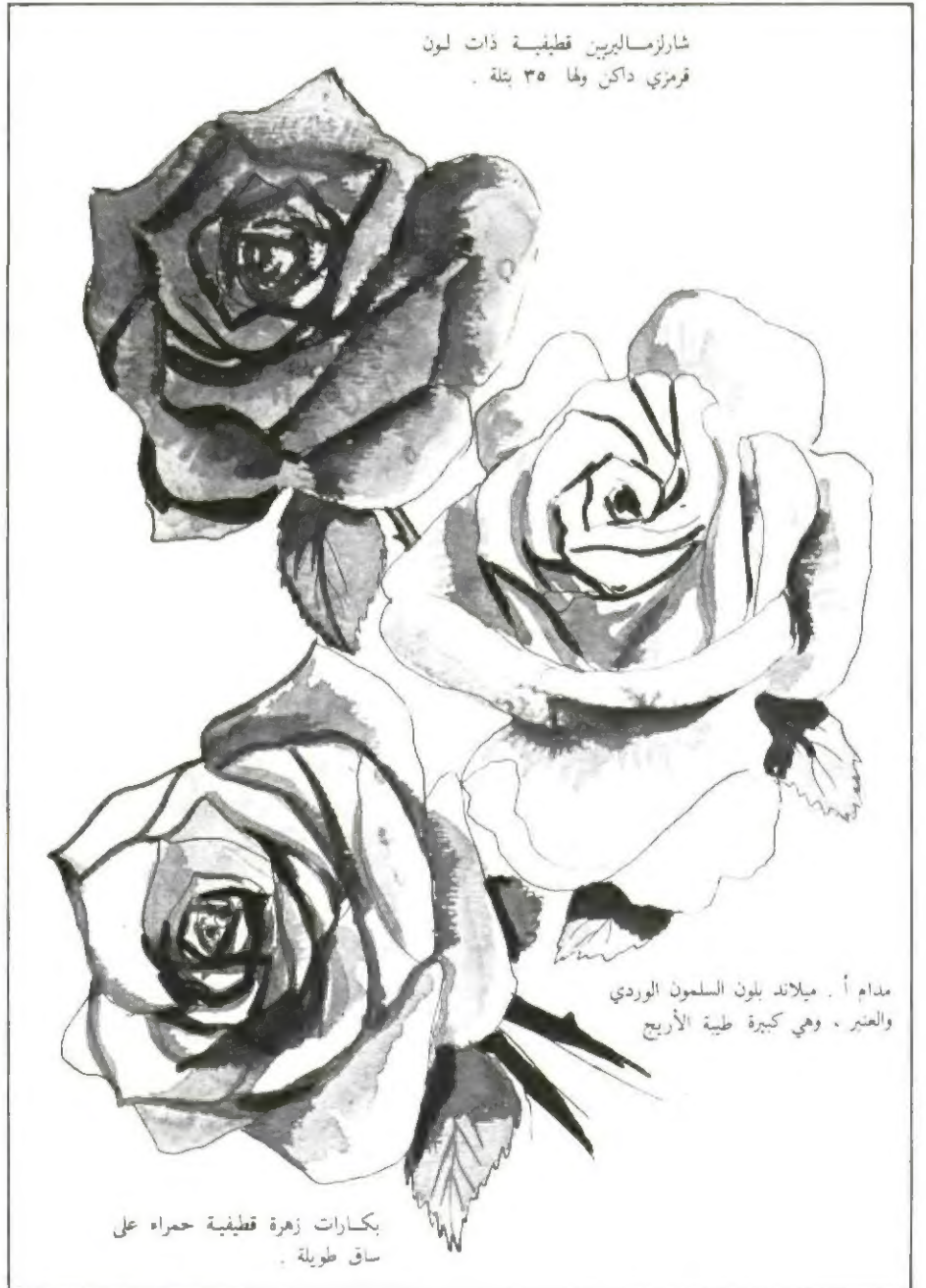
واذا كان استخدام العطور ومستحضرات التجميل قد لقي رواجاً وأقبالاً لدى الغربيين لفترة من الزمن ، ثم ما لبث هذا الاقبال أن تدنى وقل ، فإن استخدام مستحضرات التجميل ظل رائجاً في الشرق الأوسط . والجدير بالذكر أن بعض المؤلفات الغربية التي ظهرت في القرن التاسع عشر قد تحدثت عن العطور العربية ومستحضرات التجميل وعادات المرأة العربية في استخدام هذه المستحضرات . وعن الحمامات الشرقية المشهورة . ومما قاله بعض هذه الكتب في هذا الشأن : ان المرأة العربية كانت تستخدم حليب الماعز وتضعه على وجهها للتخلص من البثور ، كما كانت تضع شرائح من الخيار فوق عينيها لتضفي عليهما التألّق والجمال ، كما كانت تضع الحناء على أطراف أصابعها كنوع من التزيّن .

وبالرغم من أن صناعة مستحضرات التجميل لم تعد مقصورة على الشرق الأوسط ، فإن العديد من العطور الطبيعية التي تدخل في تركيب العطور الحديثة ، ومختلف أنواع الدهونات ، والسوائل المستخدمة في تطرية بشرة الأيدي ، والمساحيق ، ما زالت تأتي من مصر وغيرها من بلدان الشرق الأوسط . هذا ويجري الآن تصدير حوالي ٩٠ في المائة من الزيوت العطرية التي يتم انتاجها في مصر، الى كل من الاتحاد السوفيتي وفرنسا وهولندا . ومع أن هذه الكميات المصدرة لا تلعب الدور نفسه الذي كانت تلعبه في العصور القديمة ، الا أن مصر ما زالت تحتل المرتبة الثالثة بين الدول الكبرى المصدرة لزيوت الأزهار العطرية المستخدمة في صناعة شتى أنواع العطور في العالم .

**ورس** الزهور التي تصدرها مصر « الغرنوقي » وهي أنواع ذات لون أحمر قان ، والسنا ، والزنبق المائي ، والبرتقال ، والليمون ، والياسمين ، وزيت العصفر . ويحتكر العطارون في « جراسي » وهي مركز صناعة العطور في فرنسا ، استيراد أزهار اليااسمين من مصر . كما ان بعض أشهر أنواع العطور الفرنسية يتطلب ادخال اضافات على تركيبها ومواصفاتها فيما لو أريد استبدال أزهار اليااسمين المستوردة من مصر بأزهار اليااسمين المستوردة من ايطاليا أو مراكش . وتتأثر العطور الى حد كبير بالنسبة لطبيعة الأرض التي تنبت فيها الأزهار التي تشكل قوامها .



ورود مزروعة لصناعة العطر . تقطف الأزهار وتجمع في سلال كبيرة



شارلزمارلين قطيفة ذات لون قرمزي داكن ولها ٣٥ بتلة .

مدام أ . ميلاند بلون السلمون الوردي والعبير ، وهي كبيرة طيبة الأريج

بكارات زهرة قطيفة حمراء على ساق طويلة .



خلف أذنيها ، وصبغ أهداب عينيها ،  
لوجدنا أن هناك أكثر من شيء مشترك يجمع  
بينها وبين ملكات الشرق الأوسط في العصور  
السابقة •

اعداد : **يغفر سني**  
عن أرامكو وورلد

« الشامبو » تهييء الفرصة للأشخاص الذين  
يستخدمونها للاستفادة من المواد المقوية الكامنة  
في عناصرها الأساسية ، وفي الوقت نفسه أخذت  
المجلات التي تعنى بالتجميل تنفي وتطري على  
الكحل . وعادت الحناء مرة أخرى لتصبح  
من المستحضرات الشائعة الاستعمال في صباغة  
الشعر . ولو أننا نظرنا اليوم الى المرأة الحديثة  
وهي تضع اللسات الناعمة الأخيرة من عطر

ان التغير الحقيقي الوحيد الذي طرأ على  
مستحضرات التجميل خلال السبعة آلاف عام  
الماضية هو طريقة صناعتها وتسويقها . ورغم  
الانجازات العلمية والتقنية الحديثة المستخدمة في  
تحسين الطيوب الاصطناعية ، فإن صناعة  
مستحضرات التجميل أخذت تميل أكثر من  
أي وقت مضى الى الاعتماد على العناصر  
الطبيعية . كما أن مستحضرات غسل الشعر



احد المتاجر الابيفة لبيع العطور في مدينة الطائف بالمملكة العربية السعودية





الطبر السخاصة من الزهور والمزود بفضل  
سائر أضافات الطبر السخاصة الزخري.

رابع مقال «الطبر العربي» عبد السلام  
نعم من طبعه غير الله عليه



آثار هيكل المرأة الصارقة التي تعلت  
مستوى الحضارة الفابية .

راجع مقال « مدينة أفاميا »  
تصوير: خليل أبو النضر

